التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جيمس تاون وقيام انتفاضة ناثانيل بيكون ١٦٧٦

د. كفاح احمد محمد
كلية الآداب/ جامعة بغداد

تعد مدينة جيمس تاون أول مدينة انكليزية تنشأ في قارة أمريكا الشمالية، فقد أسست تلك المدينة لتكون عاصمة لمستعمرة فيرجينيا،وشهدت تلك المدينة تطورات سياسية واقتصادية وتغيرات اجتماعية عدة على مدى تاريخها الحديث، بما لم تشهده أي مستعمرة انكليزية أخرى، كما ان تلك المدينة كانت نقطة الانطلاق للتوسع الانكليزي في القارة الامريكية،وكانت تحمل أول بذرة للانتفاض على الحكم الانكليزي في المستعمرات الأمريكية، ومنها انطلق رجال الثورة الأمريكية فيما بعد، وشكلت انتفاضة بيكون التي انطلقت من تلك المدينة، منعطفاً مهماً بتاريخ المستعمرات الأمريكية، وأدت إلى حدوث تغيرات كبيرة في سياسة انكلترا تجاه مستعمراتها،كما أحدثت تغيرات اجتماعية كبيرة فقد أدت تلك الانتفاضة إلى اختفاء طبقة كاملة من المجتمع الأمريكي الجديد وهي طبقة العمال المتعاقدين،وكانت سبباً غير مباشر لقيام كبار ملاك الأراضي بشراء العبيد وتكاثرهم في فيرجينيا أولاً وفي باقي المستعمرات ثانياً، ولم يسلط الضوء على تلك الانتفاضة من قبل أي باحث عربي، أما البحوث والدراسات الأجنبية التي تناولت هذا الموضوع فقد كانت تفتقد لعنصر الحيادية فهي أما ايجابية تجعل من قائدها بطلاً خارقاً وإنساناً ذا مبادئ فلسفية عميقة وتجعله أشبه بإحدى الأساطير اليونانية القديمة، وأما سلبية تحاول التركيز على أخطائه، ومن ثم تفرغ الانتفاضة من محتواها.

الاستيطان في جيمس تاون وإدارة شركة فيرجينيا ١٦٠٧ ـ ١٦٢٤

ترجع أولى محاولات الاستيطان الانكليزي في قارة أمريكا الشمالية إلى الملكة إليزابيث الأولى (١٥٥٨-١٦٠٣) فقد منحت الملكة براءة إلى السير همفري جلبرت Humphrey Gilbert خولته فيها بتملك أي ارض في أمريكا غير محتلة من دولة أخرى، لكن سفينة جلبرت غرقت في رحلة العودة ومات مع جميع طاقم السفينة وذلك عام ١٥٨٣ ، ومن ثم استثمر والتر رالي وهو الأخ غير الشقيق لجلبرت براءة الملكة إليزابيث الممنوحة لأخيه وأرسل حملة عام

١٥٨٤ التي قامت بإنشاء مستعمرة فرجينيا وسميت بهذا الاسم تيمناً بالملكة إليزابيث الأولى التي كانت تحب أن يطلق عليها اسم فرجينيا أي (الملكة العذراء)(١) ، لكن المستعمرة التي أنشأها رالي انتهت واختفى مستوطنوها في ظروف غامضة (٢) ، وبعد وفاة الملكة إليزابيث وتولي جيمس الأول العرش الانكليزي عام ١٦٠٣ اعتبر ان من حقه ان يرث كل الشاطئ الشرقي لأمريكا الشمالية والواقع بين خطي العرض ٣٤و٤٥ شمالاً ،ومنح عام ١٦٠٦ امتيازا لشركة فرجينيا بان تقوم بتوطين مستعمرين انكليز في كل الأراضي الواقعة ضمن خطوط العرض التي ورثها(٣).

قامت شركة لندن (التابعة لشركة فرجينيا) بإرسال أول سفينة تحمل مستوطنين في عام ١٦٠٦ وعلى الرغم من مخاطر البحر وملاحقة السفن الاسبانية لها، الا ان تلك السفينة نجحت في الوصول الى الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية، وانزل أولئك المستوطنون (وكان عددهم ١٢٠ جميعهم من الذكور وكان منهم ١٠٤ بالغين و١٦ صبية)، في المنطقة الواقعة بين نهر جيمس ونهر يورك وكان ذلك في ١٣ آذار ١٦٠٧ (٤) ، واستطاع أولئك المستوطنين إنشاء أول مستعمرة انكليزية في فرجينيا أطلقوا عليها اسم جيمس تاون نسبة إلى الملك جيمس الأول ، الذي منحهم كل الامتيازات الممنوحة للشعب الانكليزي لاسيما ما يتعلق بضمان الحريات والمساهمة في الانتخابات ،كما منح الشركة الحق بسك النقود وفرض الضرائب وتشريع القوانين بما لا يتعارض مع القوانين الانكليزية والمحافظة على تبعية المستعمرة للعرش الانكليزي(٥).

تولت شركة فرجينيا الإشراف على المستعمرة سياسيا واقتصاديا طوال المدة الممتدة من ١٦٠٧ الى ١٦٢٤ ، وكان مجلس الشركة هو الذي يختار حكام المستعمرة فمنذ بداية تأسيس المستعمرة وضعت الشركة أسماء سبعة أشخاص ممن وجدت فيهم القدرة على القيادة، وتم اختيار تلك الشخصيات في لندن وقبل الوصول الى فرجينيا اذ عمدت الشركة الى جعل الموضوع سرياً وتم وضع الأسماء داخل صندوق في السفينة المتوجهة الى المستعمرة ولم يسمح بفتح الصندوق الا عند وصول السفينة الى المستعمرة ومن ثم فعلى الشخصيات الموجودة أسماؤهم اختيار واحد منهم لقيادة المستعمرة(٦) وكان الشخص المختار هو جون سميث John Smith (٧).

سعت الشركة الى تامين المستوطنين بجعلهم بعيدين عن مناطق الأسبان وقرى الهنود، فجاء اختيار المكان وفق تلك الحاجة لكنه لم يراع مسائل مهمة أخرى مثل عدم قدرة المستوطنين الانكليز على تحمل جو فرجينيا الجاف والحار كما ان المكان كان محاطا بالمستنقعات التي كانت بيئة خصبة للحشرات والملاريا، لذلك لم يبق على قيد الحياة سوى تسعة وثلاثين مستعمرا بعد مضي تسعة أشهر (٨)،ولولا الجهود الكبيرة التي بذلها القبطان جون سميث لانتهت تلك المحاولة

الاستيطانية مثل التي سبقتها ، فهو الذي حث المستوطنين على العمل الجاد، حتى انه اصدر امراً يقضي بمنع المستوطن الذي لا يعمل من الأكل(٩) ، كما نجح بإقناع الهنود بالسلام فيما بينهم وبين الانكليز ومن ثم إمداد رجال المستعمرة بالطعام لإنقاذهم من الموت(١٠) ، وبذلك تمكنت تلك المستعمرة من الصمود والبقاء لتكون عاصمة فيرجينيا فيما بعد والمستعمرة الانكليزية الأم في أمريكا الشمالية.

لم يمكث جون سميث لم يمكث طويلاً في المستعمرة وعاد الى لندن في نهاية عام ١٦٠٩ تاركا الأمور الى السير جورج برسي (١١) George Percy والذي لم يكن يتميز بالقدرة على المطاولة او البحث عن مصادر الطعام لمستعمرته، ومن سوء حظه وقعت في عهده المجاعة الكبيرة بين ١٦٠٩-١٦١٠ اذ تقلص عدد سكان المستعمرة من ٥٠٠ الى ٦٠ شخصاً فقط ، ويصف برسي حال المستوطنين في وقت المجاعة قائلا : " لقد أكلوا كل شيء فعلاوة على الخيل أكلوا القطط والكلاب والثعابين بل أنهم أكلوا أحذيتهم" ويستطرد شارحا شدة المجاعة وهولها فيقول : "اضطر بعضهم لنبش المقابر والإتيان على ما بها من جثث عفنة وكان الواحد منهم يتربص بالاخر كي يقتله من اجل اتخاذ جثته طعاما بل بلغ الحد ان ذبح احدهم زوجته وقطعها أشلاء ... وتغذى عليها عدة أيام" (١٢).

أدت شدة الفاقة الى لجوء حكام المستعمرة التابعين لشركة فرجينيا الى استعمال أساليب الشدة والبطش تجاه المستوطنين للحفاظ على الطعام ، وتظهر إحدى الوثائق التاريخية التماسا وقعه ٣٠ مستوطناً وقدموه الى مجلس الشركة وهو يتعلق بطريقة حكم السير توماس وجاء فيه: "نشهد ونجزم ان المستعمرة أثناء هذه الاثنى عشر عاماً(١٣) من حكم السير توماس سميث، عاشت اوقاتاً عصيبة من البؤس وقسوة القوانين... ان معظم الطعام عفن يضرب فيه السوس ويعافه الإنسان ولا يصلح حتى للحيوان وهو الأمر الذي دفع بالكثيرين الى الفرار الى العدو البربري طلبا للغوث على انه بعد استعادة الفارين يتم تقتيلهم بطرق شتى... وكان من بينهم من سرق ثلاث حفنات من الدقيق، فتم ثقب لسانه بمخراز ثم قيد بالسلاسل وربط بشجرة حتى مات جوعاً " (١٤)

لم تستقر الأوضاع للمستوطنين الا بعد عام ١٦١٩ اذ شهد ذلك العام أحداثاً عدة غيرت حياة سكان المستعمرة فقد قررت شركة فيرجينيا ان ترسل حاكما مدنيا للمستعمرة وان يعمل على إنشاء نظام حكومي في المستعمرة شبيها بالنظام الانكليزي وان يؤسس في المدينة مجلسا عاما يكون نواة للحكم المحلي للمستعمرة، وفي نيسان من ذلك العام وصل الحاكم جورج ياردلي George Yeardley(١٥) وما ان وصل حتى انشأ مجلسا عاما للمستعمرة وطلب من أهلها

الحضور في الكنيسة لإجراء انتخابات لتكوين مجلس ممثلين للمستعمرة وفعلا تم انتخاب اثنين وعشرين رجلاً لتمثيل المواطنين فيما عرف بمجلس المواطنين House Of Burgesses وكان ذلك في ٣٠ تموز ١٦١٩ وكان الأشخاص الذين لا يملكون أرضاً لا يحق لهم التصويت(١٦) ،ثم قررت الشركة إرسال سفينة الى فرجينيا وكان على ظهرها مئة فتاة أرسلتها الشركة للزواج من رجال المستعمرات لأجل تأكيد الاستيطان وتكاثر المستوطنين(١٧)، وأملت الشركة بان يتزوج الرجال ميسوري الحال في جيمس تاون من تلك الفتيات لحثهم على البقاء في المستعمرة،ولكن كان على الراغب بالزواج دفع ١٥٠ رطلاً (٥٨كيلوغرام) من التبغ للشركة حتى يم الزواج(١٨) ،وهذا أعطى سببا مهما لنجاح المستعمرة وتطورها.

كان اختيار ياردلي حاكما للمستعمرة يمثل سياسية جديدة لشركة فرجينيا التي خشيت حصول هجرة عكسية (١٩) نتيجة تولي حكام شديدي القوة في التعامل مع المستوطنين وعدم الاهتمام بمصالحهم العامة لاسيما منها مسألة تأمين الطعام اللازم لسكان المستعمرة والأمان من ناحية الهنود، فياردلي تعامل مع سكان جيمس تاون على انه واحد منهم يهتم لأمرهم ويعاني مما يعانوه لذلك أصبح الحاكم الأول (وربما الأخير) المحب والعطوف على الناس فتم انتخابه مرات عدة بوصفه نائباً في مجلس المواطنين او حاكماً للمستعمرة (٢٠)، ومنذ عهد ياردلي بدأت الأوضاع السياسية تستقر نوعاً ما في المستعمرة التي أخذت تكبر شيئا فشيئا وتتطور زراعتها وتجارتها، وبدأت شركة فرجينيا تكسب الأرباح التي توقعتها عن طريق إنشائها لتلك المستعمرة لكن فيما بعد تطورت الأمور باتجاه آخر وهو تحويل ملكية المستعمرة الى العرش الانكليزي منذ عام ١٦٢٤،وذلك لحماية المستعمرة من هجمات الهنود المتكررة(٢١) ، لكن الحقيقة ان هجمات الهنود لم تكن هي السبب لضم المستعمرة لان هجمات الهنود لم تتوقف لا قبل عام ١٦٢٤ ولا بعده بل ان السبب الرئيس هو أن التوسع الكبير الذي حدث في المستعمرة من حيث عدد السكان وزيادة المحاصيل الزراعية رافقه ميل كبير للتوجه نحو الاستقلال الذاتي الذي بدأ ينمو بسرعة بين سياسي المستعمرة،(٢٢) كما ان مجلس المواطنين كان قد قرر عام ١٦٢٣ عدم فرض أي ضرائب على المزارعين من الحاكم(٢٣) ، وهذا بدوره اعطى مفهوما استقلاليا ومنح الشركة إرباحا كبيرة عبر زيادة الإنتاج الزراعي ويقلل من أموال الضرائب التي تذهب الى خزانة المملكة ،وبالتالي ستصبح المستعمرة شيئا فشيئا مستقلة سياسيا واقتصاديا وهذا ما كانت تخشاه الملكية الانكليزية(٢٤).

تطور الأوضاع في جيمس تاون ١٦٢٤ ـ ١٦٤٢

إن قرار الملك جيمس الأول بتحويل ملكية المستعمرة إليه لم يشكل فارقا كبيرا على الحالة السياسية في المستعمرة آنذاك، فعلى الرغم من تعيينه السير فرانسيس وايت(٢٥) Francis Wyatt حاكما لفرجينيا إلا إن الأمور السياسية بقيت بيد ياردلي وظل وايت جاهلا بأمور فرجينيا وإدارتها، ذلك لان ياردلي كان قد أصبح من أغنى أغنياء فرجينيا ويملك اكبر مزرعة للتبغ في المستعمرة، كما انه من أسس تجارة ما يعرف بالذهب البني " Brown Gold" وهو التبغ، ناهيك عن علاقاته السياسية في داخل المستعمرة وخارجها، لذلك قرر الملك شارل الأول إعادة تعيينه حاكماً على فرجينيا مرة أخرى عام ١٦٢٦ (٢٦).

لم يعين الملك للمستعمرة حاكما في السنتين ١٦٢٦-١٦٢٨ اذ تم تعيين السير جون هارفي(٢٧) John Harvey ورغم تعيينه من قبل الملك شارل الأول عام ١٦٢٨ لكنه لم يصل الى فرجينيا الا عام ١٦٣٠ وحال وصوله اشتكى المزارعون من تدهور سعر التبغ حيث كان التجار الانكليز يشترون الرطل الواحد ببنس فقط فقرر هارفي الاجتماع بمجلس المواطنين وتدارس الأمور معهم ثم حاول إصدار تعليمات خاصة بهذا الموضوع كان أهمها التركيز على زراعة أصناف أخرى من المحاصيل الزراعية، لكن عموم كبار المزارعون كانوا يفضلون التجارة مع الهولنديين الذين يشترون رطل التبغ بسعر ١٨ بنساً، لكن مع رفض الحاكم التعامل مع الهولنديين، عرضوا عليه أن يتم رفع سعر رطل التبغ إلى ستة بنسات لكنه رفض ذلك الأمر(٢٨)، ثم قرر المجلس بموافقة هارفي إرسال احتجاج للحكومة الانكليزية عن انخفاض أسعار التبغ، لكن هارفي أخفى النسخة الأصلية الموقعة من قبل أعضاء المجلس وأرسل نسخة أخرى، هنا ثارت ثائرة أعضاء المجلس وقرروا الاجتماع بدون حضور او علم هارفي ، لأنه اثبت أكثر من مرة ارتباطه بصداقات كبيرة مع تجار التبغ الانكليز لذلك رفض ذلك الأمر(٢٩) ، ولما علم هارفي بذلك عد اجتماعهم منافيا للأخلاق واصدر امراً باعتقال اثنين منهم فاجتمعوا مرة أخرى وقرروا عزله وأصدروا قراراً باعتقاله في نيسان عام ١٦٣٥ (٣٠)

بعد عزل هارفي قرر أعضاء المجلس انتخاب جون بوت John Pott حاكماً للمستعمرة ريثما يصدر قرار من الملك بخصوص إبقاء هارفي او تعيين بديلا عنه ، وكان بوت هو الرأس المدبر لعملية عزل هارفي وإرسال شكوى ضده إلى الملك بأنه توسع بمنح الأراضي الملكية من دون إذن من الملك وعقد سلاماً مع الهنود بدون علم المجلس وقام بمساعدة الكاثوليك في ماريلاند على حساب البروتستانت(٣١)، توسع هارفي بمنح الأراضي الزراعية خارج حدود جيمس تاون اذ

منح كل مستوطن ٥٠ أيكر إذا استقر جنوب نهر جيمس او نهر يورك وتعهد بمنح المستوطن ٢٥ أيكر أخرى بعد ان يقضي عاما في تلك المناطق وقرر عام ١٦٣٣ بناء البيوت وسط تلك المناطق الجديدة ودراسة بناء تحصينات حولها(٣٢)، لكن تلك القرارات التي أصدرها هارفي لم تتضمن كبار الملاك بل صغارهم لذلك وقفت النخبة الارستقراطية في فرجينيا ضده ، مع ذلك جاء قرار الملك بإعادة تعيين هارفي حاكما لفرجينيا ومفاده " يكون حاكما ولو لمدة يوم واحد" (٣٣) وفي ذلك أشارة الى ان الملك لم يكن باستطاعته إجبار الطبقة العليا في فرجينيا على الرضوخ لأمره عن طريق الضغوط التي تعرض لها الملك من قبل كبار الشخصيات في انكلترا ، لكنه ورغم قرار الملك بإعادة تعيينه لم يكن بوسعه مجاراة تلك الطبقة التي لا يهمها سوى مصالحها الخاصة.

ان عملية عزل حاكم المستعمرة جون هارفي كانت بمثابة تمرد قام به ملاك الأراضي الزراعية من أغنياء فرجينيا ضد محاولات الحاكم لرسم سياسة اقتصادية جديدة للمستعمرة تلك السياسة التي أخذت تضر بمصالح الطبقة الارستقراطية ، فخشيت حدوث تغير في السياسة العامة للمستعمرة ومن ثم تغليب مصلحة المستوطنين من صغار المزارعين على حساب الطبقة العليا فيها، كما أظهرت تلك العملية حجم التناغم الكبير بينها وبين السياسة الملكية الانكليزية التي أثبتت أنها غير قادرة آنذاك على مواجهة تلك الطبقة التي تمتد جذورها داخل انكلترا وحتى داخل أروقة القصر الملكي.

ومهما يكن من أمر فان هارفي استسلم في النهاية لمطالب تلك الطبقة وأصبح لا يرفض لها طلباً، فلم ينجح أبداً بمحاولة تنفيذ رغبة الملك بتخفيض إنتاج التبغ، وأخيراً قررت تلك الطبقة الضغط على الملك لاستبدال هارفي بالسير فرانسيس وايت (وهو أحد رموز تلك الطبقة) وفعلا اصدر الملك قراراً بعزل هارفي وتعيين وايت حاكما على فرجينيا في تشرين الثاني ١٦٣٩ وعادت الأمور إلى طبيعتها في المستعمرة، ولم يحدث أي تطور مهم في عهد وايت الذي كان يساير الأمور مثلما يريدها ملاك الأراضي (٣٤).

قرر الملك شارل الأول تعيين أحد أصدقائه الانكليز المقربين حاكماً لفرجينيا وهو السير وليم بيركلي وهو انكليزي الأصل من مقاطعة مدلسكس Middlesex وكان بيركلي من طبقة مترفة حيث قضى معظم حياته الأولى في الترف والبذخ، ثم أصبح احد الرجال المفضلين في الحاشية الملكية وقربه الملك شارل الأول إليه(٣٥)، وقاتل بيركلي إلى جانب الملك شارل الأول في الحرب الأهلية الانكليزية (٣٦) وكان معه خطوة بخطوة ونتيجة لولائه وإخلاصه المتفاني للعرش الانكليزي تم تعيينه حاكما على فرجينيا عام ١٦٤٢(٣٧)وبذلك تكون جيمس تاون قد خضعت تماماً

للسيطرة الملكية، وأصبحت أشبه بمقاطعة او إقليم انكليزي أكثر من كونها عاصمة مستعمرة، فعلى الرغم من هامش الحرية الذي كان موجوداً في المدينة الا إن ذلك الهامش بدأ يتلاشى بعد وصول شارل الأول الى الحكم اذ لم يكن يهمه سوى ضمان استمرار نفوذه على ممتلكاته من المستعمرات.

التطورات الاقتصادية والاجتماعية في جيمس تاون منذ تأسيسها حتى انتفاضة بيكون

كان اقتصاد مستعمرة جيمس تاون عاصمة فرجينيا مبنياً من الأساس على الزراعة،ففي البداية جلبت شركة فرجينيا المستوطنين ليقوموا بزراعة الأرض التي تملكها الشركة فقط ، أي كان المستوطنون عمالاً عند الشركة، وظهرت زراعة التبغ في المستعمرة عام ١٦١١على يد المزارع الغني جون رولف John Rolfe الذي استطاع الحصول على بذور تبغ ممتازة النوعية من المزارعين الأسبان وباشر بزراعتها في جيمس تاون ونجحت (٣٨)، حيث كانت زراعة التبغ تتم في المستعمرات الاسبانية وكان التبغ يصدر لاسبانيا من مستعمراتها ومنها إلى أوربا، حتى ان انكلترا نفسها كانت تستورد التبغ من اسبانيا فقد اشترت في عام ١٦١٥ تبغا بما قيمته ٢٠٠,٠٠٠ جنيه إسترليني(٣٩)، وبالتالي فان نجاح زراعة التبغ جلب أرباحاً خيالية لشركة فيرجينيا لذلك أخذت تصدر قوانين جديدة من شأنها زيادة الإنتاج، فأصدرت عام ١٦١٦ قانونا يقضي بمنح المستوطنين أراضي خاصة لهم بدل العمل في أراضي الشركة، وأخذت تمنح الأراضي لكل مستوطن جديد وفق نظام أصدرته بهذا الشأن وهو ما عرف باسم حقوق الرأس Head Rights فمنحت بموجبه ١٠٠ أيكر لكل مستوطن قدم للمستعمرة قبل عام ١٦١٦ ، و٥٠ أيكر لكل رجل حر جاء إلى المستعمرة على نفقته الخاصة(بعد عام ١٦١٦) وإذا كان ذلك الرجل قد جلب معه (على نفقته) أخ أو قريب أخر فيعطى أيضا ٥٠ أيكر ويمنح أيضا ٥٠ أيكر عن كل خادم متعاقد قد جلبه معه، كما قررت الشركة منح كل الخدم المتعاقدين مساحة ٥٠ أيكر في حال إتمام عقودهم وعادة ما تكون بين ٥- ٧ سنوات (٤٠)، فإذا كنت تاجرا او صاحب مال وجلبت معك مئة من الخدم فسيكون لديك خمسة آلاف أيكر تمنح لك بصورة مجانية ومن هذا المنطلق بدأ الكثير من الإقطاعيين والتجار بالقدوم لفرجينيا والحصول على الأراضي وزراعتها.

نجحت الشركة باستقدام عددٍ من الخدم المتعاقدين والمزارعين الجدد والراغبين بالمال والثروة والحالمين بامتلاك الأراضي كلهم قدموا بعد هذا القانون،وكانت فكرة الخدم المتعاقدين فكرة ممتازة بالنسبة للشركة التي كانت أول من استخدم هذا النظام وطبقته في فرجينيا أولا، وذلك لتتخلص الشركة من كسل العمال الذين جلبتهم للعمل في مزارعها اذ كانوا يعملون في أراضي الشركة لقاء إطعامهم وإسكانهم مع مرتبات قليلة، وبالتالي فلم يكونوا يعملون بكل جهدهم لان لا

دافع لديهم للعمل وإذا ضجروا وأوقفوا أعمالهم فعلى الشركة إرجاعهم الى انكلترا(٤١) ، وما ان بدأت الشركة بتطبيق نظام الخدم المتعاقدين وقانون منح الأراضي حتى ظهرت نتائج تلك الأنظمة الجديدة بسرعة كبيرة فقد تم تصدير أكثر من عشرين ألف رطل من التبغ إلى انكلترا عام ١٦١٧ وأخذت زراعة التبغ تتقدم بسرعة فائقة ومخيفة بنفس الوقت فمع بداية عام ١٦٢٧ أنتجت فرجينيا نصف مليون رطل من التبغ وفي عام ١٦٢٩ زاد الإنتاج إلى مليون ونصف رطل، وصولاً لعام ١٦٣٨ اذ أصبح الإنتاج يزيد على ثلاثة ملايين رطل، ثم قفز الإنتاج قفزة هائلة فقد أنتجت فرجينيا بحلول عام ١٦٦٢ أكثر من ثلاثة وعشرين مليون رطل من التبغ(٤٢)،وبذلك أصبحت فرجينيا مصدرا للتبغ المصدر إلى أنحاء أوربا كافة.

وتطلب التوسع في زراعة التبغ أيدٍ عاملة كبيرة ولما كان اغلب المستوطنين يملكون أراض بموجب نظام حقوق الرأس، فمن سيقوم بالزراعة وهنا وجد النظام الملكي الانكليزي فرصة للتخلص من المتشردين والطبقات الفقيرة والعاطلين عن العمل وإرسالهم إلى المستعمرات الأمريكية بدون أن تتكلف الحكومة تكلفة نقلهم التي سيدفعها أصحاب المزارع في فرجينيا، وقد أصدرت الحكومة الانكليزية في عهد الملكة إليزابيث الأولى ما عرف بقانون الفقراء عام ١٦٠١ حيث جاء تعريف الفقراء على النحو الآتي " كل من يدعون أنفسهم متعلمين ويجوبون الشوارع تسولا،وكل المشتغلين بالبحر ويزعمون أنهم فقدوا سفنهم وبضائعهم ويطلبون من الناس مساعدتهم، وكل العاطلين المتسولين الذين يدعون أنهم من أصحاب الحرف ... وكل المتجولين والعمال ذوو الصحة الجيدة الذين يلجؤون إلى التسول... والأطفال الذين لا يستطيع أهلهم المحافظة عليهم يتم إرسالهم للتعلم في السفن والتجارة وغيرها.... "(٤٣)، ويتم كذلك إرسال المساجين، ويسمح للمحكوم بالإعدام وحصل على عفو من قبل الملك او بوساطة احد النبلاء للهجرة الى المستعمرات، على ان بعض أولئك كانوا حاصلين على شهادات جامعية فمثلا كان احد ابرز المحامين والعضو في مجلس مواطني فرجينيا وهو وليم شيروود William Sherwood محكوما بالإعدام في انكلترا(٤٤)،كما ان الكثير من مواطني ويلز وايرلندا واسكتلندا قرروا الهجرة الى المستعمرات لتحسين أوضاعهم المعيشية لكن اغلب هؤلاء كانوا غير قادرين على دفع نفقات الهجرة لذلك أصبحوا تجارة رابحة لملاك السفن الذين اخذوا يبيعون ويشترون بهم كالعبيد(٤٥).

لكن مع تطور زراعة التبغ بشكل مفرط ظهرت الحاجة الى نوع آخر من العمال في فرجينيا، وكان النوع الجديد هو العبيد، وقد استخدم ملاك الأراضي الزراعية العبيد في فرجينيا منذ عام ١٦١٩، اذ وصلت بذلك العام سفينة هولندية تحمل معها عشرين عبداً إفريقيا للبيع اشتراهم

آنذاك حاكم المستعمرة جورج ياردلي واستعملهم في مزارعه(٤٦)، وتطورت تجارة العبيد وأصبحت اغلب مزارع فرجينيا ممتلئة بالعبيد الأفارقة،ومنذ منتصف القرن السابع عشر تزايد الطلب على العبيد بصورة كبيرة فقد ارتفع عدد العبيد المستعملين في الزراعة حوالي ٣٠٠ عبدٍ في عام ١٦٤٩، وارتفع ذلك العدد الى ٢٠٠٠ عبد عام ١٦٧٠(٤٧).

كانت الحياة الاقتصادية في فرجينيا مبنية على زراعة التبغ، وكان عماد تلك الزراعة هم الخدم المتعاقدين والعبيد،وكانت الطبقتان تعيشان أوضاعا صعبة للغاية، فرغم تحملهم عناء العمل الشاق كانت القوانين الجائرة تصدر ضدهم فلم يكن من حق الخادم المتعاقد الزواج الا بإذن سيده، وإلا تم التفريق بينهم وبين عائلاتهم او تعرضوا للجلد،لان من مصلحة السيد ان لا تحمل الخادمة لأنها لن تقوى على العمل، كما ان الكثير من الخادمات المتعاقدات كن يتعرضن للاغتصاب من أسيادهن، وان كثيراً منهن كان يموت من المرض من دون علاج ويلجأ آخرون للانتحار وكثيرا منهم يموتون من جراء الجلد والتعذيب لأخطاء تافهة ارتكبوها (٤٨)، واغلب هؤلاء الخدم المتعاقدين كانوا يموتون قبل حصولهم على حريتهم فلم يسجل أكثر من أربعين شخصاً فقط من المتعاقدين الذين أكملوا سنوات خدمتهم وشروطها الصعبة ثم أصبحوا أحرارا وتملكوا أرضاً(٤٩)

. ومع زيادة الطلب على التبغ ازداد عدد سكان فرجينيا وازداد معه عدد الخدم المتعاقدين ، ونشأت في فرجينيا مشكلات اجتماعية واقتصادية معقدة ترتبط كلها بعملية إنتاج التبغ وتصديره ، كما ازدادت الحالة السياسية تعقيدا في المستعمرة وحدوث بون واسع بين الطبقات الاجتماعية فيها، وبدأت بوادر الثورة والتمرد من الفقراء من الرجال الأحرار سواء أكانوا من الذين يملكون مزارعهم الخاصة او من الخدم المتعاقدين، فإذا كان الخادم المتعاقد محظوظاً واستطاع إنهاء عقده فأنه سيكون رجلا فقيرا معدما أهلكته سنوات العمل فلم يعد يقوى على العمل بأرضه البعيدة والتي غالبا ما تكون عند الحدود ويكون الفقر قد منعه من الحصول على عمال لمزرعته،فضلا عن انه سيكون ممنوعا من المشاركة في الحياة السياسية وتقع عليه عملية دفع الضرائب الثقيلة(٥٠)، ويطلق المؤرخ الأمريكي ادموند مورجان على هؤلاء تسمية "المحرومين "، ويصف حالتهم قائلا:"أنهم محبطين من قبل الأغنياء لأنهم احتكروا الأراضي، ومحبطين لتحملهم الضرائب الثقيلة مع عدم تمثيلهم في الحكم، ومحبطين من تصرفات حاكم المستعمرة، وقبل كل ذلك فأنهم ظلموا من قبل الملك نفسه"(٥١) .

وبناءً على ما تقدم فان حالة الخدم المتعاقدين كانت لا تفرق كثيراً عن العبيد في فرجينيا وربما لا نبالغ إذا قلنا بان العبيد كانوا أبان تلك الفترة أفضل حالا من الخدم، ببساطة لان العبد كان

أغلى ثمنا من الخادم (فقد كان سعر العبد يتراوح بين ٢٥ و٣٠ جنيهاً في حين كانت تكلفة الخادم ١٥ جنيهاً)(٥٢) ومن المنطقي ان يحرص السيد على حياة عبده لأنه غالي الثمن كما إن ذلك العبد سينجب له عبيدا آخرين سيكونون ملكاً للسيد صاحب الأرض،وعليه فان قيام ثورة او انتفاضة او تمرد كان قاب قوسين او أدنى في فرجينيا وكان كل الرجال الأحرار من الخدم المتعاقدين جاهزين للانتفاض ضد واقعهم ألمعاشي المزري.

الأوضاع السياسية في فرجينيا في عهد الحاكم وليم بيركلي William Berkeley(١٦٤٢ – ١٦٧٧)

ما أن تم تعيين وليم بيركلي من الملك شارل الأول حتى عمل على إخضاع مجلس المواطنين لإحكامه الخاصة التي لم تكن تخرج أبدا عن ميول الطبقة الارستقراطية في فيرجينيا ورغباتها، فقد وافق النبلاء والتجار على سياسته لأنها تقوم بحماية مصالحهم الخاصة، ومن خلال صلاحياته كحاكم عام لفرجينيا منح أعضاء مجلس المواطنين الذين كان اغلبهم من طبقة الملاك الكبار، حصانة كبيرة ضد الاعتقالات في حالة قيام أي احد منهم بخرق القانون، كما أعفى تلك الطبقة من الضرائب طوال حياتهم، لكنه في الوقت نفسه استخدم أساليب القوة والبطش ضد الفقراء لاسيما الخدم المتعاقدين فقد عمل على إخضاعهم لجميع القوانين النافذة، وعمل على ملاحقة الفارين منهم وتطبيق اشد العقوبات ضدهم (٥٣)، سياسة بيركلي هذه نابعة من جذوره الأولى فهو ارستقراطي ومن رجال الحاشية الملكية فكان من الطبيعي ان ينحاز لأبناء طبقته وان يعمل على تحقيق مصالحهم وزيادة ثروته الشخصية وثرواتهم ، وإبقاء العبء الأكبر من الأعمال والضرائب على أولئك الخدم المتعاقدين.

احتكر بركلي منصب الحاكم لنفسه منذ ١٦٤٢ وحتى وفاته عام ١٦٧٧ ، ولضمان السيطرة على المنصب وجب عليه أولاً السيطرة على مجلس المستعمرة وللسيطرة على المجلس أخذ يوزع الوظائف المدنية والعسكرية على من يرغب ومن يوافق سياسته فكان هو الذي يقوم بتعيين عمد المدن والمناطق وكذلك جامعي الضرائب والقضاة وهؤلاء هم من يسيطرون على مجلس المواطنين، وبعد اختيارهم على وفق ما يريد يقوم بإعطائهم مرتبات عالية وهدايا ومكافآت تصل لحد التبذير المفرط ، أما الموظفون الأقل شأناً من هؤلاء او ما كان يسمى في جيمس تاون آنذاك بالأذرع الطويلة للمجلس، فهم قادة المليشيا فمثلا كانت قائمة أولئك تضم ٣٠ عضواً عام

١٦٦٦ ستة منهم برتبة عميد وأربعة عشر برتبة عقيد ورائد واحد وملازمين وآخرين اقل رتبة(٥٤).

وبناءاً على ذلك لم يواجه بيركلي أي معارضة لسياسته فكان جميع أعضاء مجلس المواطنين يؤيدون قراراته لاسيما ما كان يتعلق منها بفرض ضرائب جديدة او زيادة الضرائب القديمة التي كان يتحمل الفقراء من المواطنين أعباءها (٥٥) ، فضلا عن تحمل الفقراء للضرائب كان عليهم تحمل العيش خارج أسوار المدينة فالأراضي القريبة من المدينة والخصبة كانت تمنح لأعضاء المجلس المقربين من بيركلي، ويذكر قاضي مدينة جيمس تاون فليب الكسندر بروس Philip Alexander Bruce بهذا الخصوص ما نصه: " لقد أحاط بيركلي نفسه بمجموعة من المفضلين ومنحهم مساحات شاسعة من أفضل الأراضي الزراعية في المدينة وبعضهم حصل على ٢٠٠٠ أيكر، وآخرون على ٣٠٠٠ أيكر، وغيرهم حصل على ١٠٠٠٠ أيكر، فيما حصل أكثر المقربين منه على ٣٠٠٠٠ أيكر" (٥٦)، ومن خلال هذا النص يتبين لنا الفرق الواسع بين ذلك الخادم المتعاقد الفقير الذي إذا استطاع إنهاء عقده يحصل على ٥٠ أيكراً فقط بينما يحصل أبناء الطبقة العليا على ثلاثين إلف أيكر ومن ثم لا يمكن مقارنة إنتاج خمسين أيكراً بإنتاج ثلاثين إلف أيكر من التبغ أي ان الطبقة العليا كانت تحدد السعر الذي يناسبها للبيع فإذا بيع رطل التبغ ببنس واحد فلا يؤثر ذلك في أصحاب الأراضي الكبيرة ويقع ضرره على أصحاب المزارع الصغيرة، ومن هنا ازدادت الهوة بين الطبقتين .

سيطر بيركلي تماماً على الأوضاع في المستعمرة ولم يترك منصب الحاكم حتى بعد سيطرة البرلمان الانكليزي على الحكم وإعدام شارل الأول ومع ذلك بقي في المستعمرة التي لم يعين حاكماً عليها من البرلمان، على ان المستعمرة ومن خلال تأثيره، أعلنت ولاءها للملكية ولم تعترف بسلطة البرلمان(٥٧)، كما استمر بشكل غير رسمي بمهمة الحاكم ولم يعد إلى انكلترا وفضل الاستقرار في مزرعته الخاصة في فرجينيا وانتظر الفرصة التالية ليستلم أي مهمة أو منصب يعرض عليه وأتت تلك الفرصة عام ١٦٦٠ فبعد أسابيع من تنازل ريتشارد كرومويل فوض بيركلي رسمياً مرة أخرى ليكون حاكما على فرجينيا(٥٨)

إن الاستمرار بسياسة توزيع الأراضي الكبيرة دفع حاكم المستعمرة بتوزيع مساحات من الأرض في المنطقة المعروفة باسم نيك نورثرن Neck Northern وكانت تلك المنطقة غير مستقرة او ما يمكن تسميته الآن بالمناطق المتنازع عليها بين السكان الأصليين (الهنود) وبين المستعمرين الجدد (الانكليز) فبدأ الصراع بين مجموعة قبائل بوهاتن Powhatanالهندية التي

كانت تعد تلك المناطق امتداداً لأملاكها (٥٩)، وكانت تلك القبائل مرتبطة سابقاً بحلف مع الانكليز لأنها كانت بحالة حرب شبه دائمة مع قبائل السوسكويهانوك Susquehannock الهندية التي تقطن شمال قبائل البوهاتن ولما كانت الأخيرة لا تستطيع مواجهة تلك القبائل القوية لجأت الى التحالف مع الانكليز في جيمس تاون، لكن بعد عمليات التوسع التي قام بها الحاكم على حساب مناطقها وقيام مستعمرة ماريلاند أيضا بالتوسع على حساب القبائل الأخرى ، رأت القبائل الهندية ضرورة توحيد موقفها ضد الانكليز بصورة عامة فكونوا حلفا منذ منتصف القرن السابع عشر ضم القبيلتين مع قبائل ايروكويانس Iroquoians وهي خمس قبائل، وأخذت قبائل السوسكويهانوك بالتوسع على طول المنطقة المعروفة اليوم ببنسلفانيا وأسس هؤلاء تحالفا مع قبائل الهورون Huron في كندا(٦٠).

إن اندلاع الحرب بين الانكليز والهنود معناه القضاء على المستعمرة في تلك الظروف لاسيما بعد توحد الهنود لذلك كان بيركلي غالبا ما يتجنب الحرب مع الهنود ويحاول عدم إثارة مجموعة كبيرة من القبائل الهندية المتحالفة، صحيح انه خاض معارك مع الهنود لكنها كانت معارك صغيرة تنتهي دائما بتجديد السلام معهم ، كما انه كان يدخل تلك المعارك مع قبيلة واحدة فقط ،ودخل معركتين مع قبيلة البوهاتن عام ١٦٤٤ ردا على هجوم قامت به تلك القبيلة ضد الانكليز، وفي عام ١٦٤٦ قاد بنفسه هجوما على تلك القبيلة أيضا لكن الإعلان الرسمي لمسير الجيش كان إعادة التحالف مع تلك القبيلة(٦١)، ولكن مع رفض الهنود التفاوض فيما يخص التنازل عن الأرض حدثت المعركة التي انتهت بنجاحه بأسر زعيم قبيلة البوهاتن وهو اوبشانكانوف Opechancanough واقتاده الى جيمس تاون وقتله هناك وكان عمره يناهز المئة عام، ووقع بيركلي معاهدة مع من تبقى من زعماء تلك القبيلة(٦٢)، ولكن حدث ذلك قبل التحالف الهندي، وألان لا يستطيع الحاكم إعلان حرب صريحة ما لم يجهز جيشا كبيرا او يحدث فتنة بين الهنود،من خلال تعامله الدائم معهم ، كما انه لم يود خسارة تجارته الرابحة مع الهنود وهي تجارة الفرو التي طالما أدخلت مردوداً مالياً كبيراً له(٦٣).

كما ان التجهيز للمعارك يتطلب أموالاً لم يكن بيركلي ومجموعته مستعدين للدفع من أموالهم الخاصة، لاسيما وان سعر التبغ بدأ ينخفض إلى ادني مستوى له فقد وصل سعر رطل التبغ الى نصف بنس، وأصبح التبغ يكدس في المستودعات الانكليزية، وفي عام ١٦٦٢ اشتكى بيركلي من انخفاض سعر التبغ بحيث لم يعد يغطي قيمة الشحن والكمارك، وفي العام نفسه حدث فشل ذريع في مشاريعه فقد اصدر امراً ببناء ٣٠ منزلا من الطابوق في المدينة وفرض ٣٠ رطلاً من التبغ

ضريبة على البناء على الرغم من تدهور الحالة المعشية للناس، ومع ذلك دفعوا وتم إنهاء بناء تلك البيوت في ذلك العام ، لكن لم يسكن بها احد لأنها جميعها سقطت (٦٤) .

أخذت الأمور الاقتصادية تزداد سوءا ثم صادف ذلك وقوع كارثة طبيعية عام ١٦٦٧ إذ هبت عاصفة قوية جدا دمرت العديد من المنازل ودمرت مخازن الحبوب التي تناثرت على الأرض(٦٥)، كما شهدت تلك المدة زيادة غير مسبوقة بعدد العمال المتعاقدين فقد أصبح عددهم خمسة وأربعين ألف عامل متعاقد ، مابين ١٦٥٠- ١٦٧٤ (٦٦)، وبدأت الأوضاع تتجه نحو الانفجار فالعمال كانوا يريدون تحسين أوضاعهم المعيشية والأمنية ، وفي الوقت نفسه لم تعر الطبقة الغنية أي اهتمام لتفاقم الأوضاع الاقتصادية السيئة وربما لم تتأثر أبداً بانخفاض سعر التبغ، لكنها من المؤكد لم تحاول عمل أي شيء للفقراء بل استمرت تلك الطبقة على ذات الاتجاه كما يصف مورجان " بجز العمال من خلال الاستمرار بزيادة الضرائب "(٦٧) ، ولم يتوقف الأمر لهذا الحد بل عمدت تلك الطبقة إلى إطالة مدة الاستئجار وأصبحت مدة العقد أطول إذ لم يكن يعرف العامل متى سيحصل على حريته، وكانت القوانين الجديدة جاهزة دائما للنيل من أية محاولة لإعطاء المتعاقدين حرياتهم فكثير منهم أنهوا مدة العقد لكنهم بقوا خدماً بل انتشر في فيرجينيا ما عرف بين الناس بـ " الاستمرار بالاستغلال غير المحدود للعمال" (٦٨).

قيام انتفاضة ناثانيل بيكون Nathaniel Bacon عام ١٦٧٦

إن تجاهل الطبقة الارستقراطية في فرجينيا لحاجات الناس الأساسية في جيمس تاون أدى إلى تفجر الأوضاع فيها، ومنذ عام ١٦٧٤ حدثت محاولات عدة للانتفاض بوجه الحاكم بيركلي ومن بعده تلك الطبقة المتعجرفة، لكن تلك المحاولات باءت بالفشل لعدم وجود قائد يستطيع تنظيم العمال والفقراء من الأحرار والعبيد (٦٩)، وربما كان الشخص الوحيد الذي كان يتوقع تفجر الوضع، هو الحاكم بيركلي لأنه كان قد ضاق ذرعاً من وجود الأعداد الهائلة من العمال المتعاقدين، فتراه يكتب إلى سادته في لندن قائلاً: " بالنسبة لنا فان ضغط الهنود يكاد يكسر ظهورنا وان ارتفاع ضغطنا الداخلي يأتي من المتعاقدين ... والهولنديون يحاولون غزونا من الشاطئ ... وأولئك الذين نحملهم فوق ظهورنا من المتعاقدين والعبيد وبعض الرجال الأحرار الفقراء المفروض عليهم الدفاع عن شواطئنا وحدودنا" كما أشار إلى استعداد هؤلاء الناس الذين ذكرهم إلى الانضمام للهولنديين إذا ما غزوا البلاد ويقول " سيقومون بذلك أملا بتحسين حالتهم من خلال قيامهم بتقسيم الحصة مع

الهولنديين إذا ما نهبوا البلاد .... وما أصعب حال ذلك الرجل الذي يحكم شعبا يعاني كل ستة من أصل سبعة فيه على الأقل من الفقر والحاجة والعوز والدين والسخط ، ناهيك عن إن اغلبهم يمتلكون سلاحاً"(٧٠) ، وفي ذلك النص اعتراف من الحاكم بسوء أوضاع مستعمرته سياسيا واقتصاديا حتى انه توقع مساعدة شعب مستعمرته للعدو الخارجي ، لكن الغريب هو استمراره على النهج نفسه من دون أي محاولة لامتصاص نقمة العمال او الفقراء من الرجال الأحرار، ولعله اعتبرهم مجرد وساخة لن تؤثر شيئا في الحياة السياسية داخل المستعمرة وما عليه الا تقديم النصح للملك بان يستعد للمواجهة مع هولندا الطامعة بزراعة التبغ وتجارته ، أما أولئك الستة من أصل السبعة فلا حاجة لبقائهم أحياء، والستة الذين يشير إليهم بيركلي هم الفقراء والعمال المتعاقدين وهذا واضح، والواحد هو ذلك الفرجيني الثري، ولكن أين الثلاثة الباقون من النسبة المئوية ؟ أنهم العبيد الأفارقة الذين لم يكونوا ذا خطراً على المستعمرة وقتذاك لضآلة أعدادهم بالنسبة للعمال البيض.

وسط تلك الظروف وصل الى فرجينيا الجامعي الشاب ناثانيل بيكون Nathaniel Baconوقبل الدخول بتفاصيل انتفاضته علينا أولا تعريف شخصيته، فبيكون ولد عام ١٦٤٧ في فريستون Friston التابعة لمقاطعة سوفولك Suffolk في انكلترا وهو ابن التاجر الغني توماس بيكون وكان والده عضوا في الأكاديمية العسكرية كما ان ابن عمه فرانسيس بيكون كان مستشارا للملكة إليزابيث(٧١)، وفي عمر مبكر ادخله والده في جامعة كامبريدج، لكنه لم يستمر في الدراسة فيها فقد كان يمتلك حركة ونشاطاً كبيراً، وقام بتكسير معدات باهظة الثمن تابعة للجامعة فقرر والده إيقافه عن الدراسة فيها، وبعد ذلك أرسله ليدرس على يد العالم الطبيعي جون راي John Ray ، وراي أعجب بالفتى ووجده سريع البديهة ولديه قدرة كبيرة على الفهم والاستيعاب، لذلك قرر راي اخذ بيكون معه في رحلة إلى أوربا وكان بيكون آنذاك بعمر ستة عشر سنة ، وعند العودة من أوربا عاد بيكون للدراسة في جامعة كامبريدج،ودرس الآداب وحصل على الماجستير فيها وبعد ذلك درس القانون(٧٢)

في عام ١٦٧٠ تزوج من إليزابيث ابنة السير ادورد ديوك Sir Edward Duke لكن الزواج حدث بعد وفاة والدها الذي لم ير بيكون، وكان والدها قد مات ولم يترك شيئاً لابنته من الميراث الذي ورثه أخوها جون، لكن أخاها كان أكثر عطفاً عليها من والدها فترك لها اعتمادات مالية وفيرة، وحاول بيكون بعد زواجه منها تطوير تلك الأموال في مشاريع سريعة أملاً منه بالحصول على المال الكثير بأقل وقت ممكن، ونتيجة لاندفاعه نحو المال وقع ضحية اثنين من

النصابين الذين خدعوه بمشاريع وهمية واخذوا ماله وعبثاً حاول بيكون إرجاع ماله في محاكم لندن(٧٣) .

قرر بيكون أن يجرب حظه في فيرجينيا محاولاً جمع ثروة هناك لاسيما بعدما منحه والده مبلغاً كبيراً من المال ليبدأ حياته في فرجينيا بوصفه رجلاً ارستقراطياً (٧٤)، وهاجر والأمل يحدوه بإحراز تقدم سريع نحو الثروة ، وكان الذي دفعه على ذلك الاتجاه هو ابن عمه الذي يحمل الاسم نفسه وكان قد هاجر إلى فرجينيا قبل وقت قصير واستطاع جمع ثروة جيدة كما حظي بنفوذ جيد في المستعمرة ووظيفة ممتازة وهي منظم ميزانية المستعمرة نظرا لصلة القرابة القوية بينه وبين السير وليم بيركلي لاسيما بعد زواج الأخير من ابنة عم بيكون، الأرملة الشابة الليدي فرانسيس Lady Frances (٧٥) .

وصل بيكون وزوجته الى فرجينيا عام ١٦٧٤، وحال وصوله ذهب الى أقربائه الذين ساعدوه على شراء ارض زراعية كبيرة استقر فيها وكانت بالقرب من كورليس نيك Curles Neck التي تقع عند نهر جيمس وتبعد حوالي عشرين ميلاً عن مصب الشلالات(٧٦)، وتقع تلك المنطقة على حدود فرجينيا آنذاك ويبدو انه أراد اكبر مساحة من الأرض لذلك اختار منطقة بعيدة، وبالتالي هذا ما جعله قريبا من القرى الهندية، ولا يوجد تفسير آخر لاختياره هكذا مكان فالنسبة إلى شخص مثله أصبح حال وصوله معروفا بين الناس بأنه غني ومثقف ويبدو الوقار عليه مما جعله عظيماً في أعين أهالي المستعمرة(٧٧)، ما الذي سيدفعه الى الاستقرار في تلك المناطق البعيدة والخطرة ، الا رغبته بالحصول على أرض كبيرة ومن ثم رغبته بالمتاجرة مع الهنود بالفراء، وهذا ما كان احد أسباب نزاعه مع الحاكم وليم بيركلي فيما بعد.

وصف بيكون من معاصريه، وعند انتهاء انتفاضته بأنه " كان يبلغ من العمر أربعة وثلاثين سنة أو أكثر، غير مكترث، طويل ونحيف اسود الشعر، وتبدو عليه الكآبة الشبه دائمة، مسيطرا في مناقشاته ويملك حججاً قوية، كثير التأمل،قائد بالفطرة، لا يهتم كثيرا بأمور الدين ..."(٧٨)،ويبدو من خلال هذا الوصف ان بيكون كان على درجة عالية من الثقافة ولاسيما انه يحمل شهادة جامعية وسط حشد من الجهلة والبسطاء، لذلك حصل بيكون على الترحاب في جيمس تاون حال وصوله، واستطاع بعد أشهر قليلة من الحصول على مقعد في مجلس المواطنين فقد عَينه الحاكم بيركلي عضواً بذلك المجلس(٧٩) بناءً على انه خريج أكسفورد ومتعلم كما انه ابن عم زوجته الشابة، وابن عم مدير حسابات المجلس، وكان بيركلي لا يترك هكذا شخص بدون أن يقربه إليه لضمان عدم معارضته في المستقبل، وقال بيركلي لبيكون وهو يعينه بهذا المنصب ما نصه"

أن قدوم الناس الأشراف (الجنتلمان) إلى هذا البلد نادرا جدا لذلك فإذا أتوا إلى هنا فهم يستخدمون من قبلي مع كل الاحترام " ورد عليه بيكون قائلاً " بإمكانك استخدامي بأي وظيفة عامة في هذا البلد، فان عطائي غير محدود وهو قضية حياتي ، وليس لغرض حماقات او تصرفات صبيانية"(٨٠)، كما أن بيكون بعد مدة قليلة حصل من الحاكم على عمولة جيدة ، مثله مثل باقي أبناء الطبقة الارستقراطية، وأعطاه أيضا جزءاً بسيطاً من أرباح تجارة الفراء التي يديرها بيركلي مع الهنود(٨١)، ويبدو ان بيكون لم يكن مقتنعاً بتلك الأرباح القليلة من تجارة الفرو لأنه غالباً ما صرح بأنه يجب ان تكون الأرباح مناصفة بين الناس.

كانت فيرجينيا تعاني من أوضاع اقتصادية صعبة للغاية عند وصول بيكون، وكان أهالي فيرجينيا سريعي التأثر، وكان الرأي العام سريع التقلب كذلك، واخذ الأهالي يتذمرون ويستنكرون قيام الحاكم باحتفالات كبيرة وصاخبة بمناسبة زواجه من الليدي فرانسيس ، في حين كان الأهالي يواجهون خطر الموت من قبل الهنود، وحسب ما يرويه المعاصرون لتلك الأحداث فان حديث الناس آنذاك كان يدور حول تآمر الحاكم بيركلي مع الهنود، بحيث انه ترك جميع الشواطئ مفتوحة وبدون تأمين لاستمرار تدفق الفرو من الهنود، وانه لأجل تلك التجارة كان يسكت عما يحدث للناس من قتل على يد أصدقائه الهنود، بحسب وصفهم (٨٢)،وأصبح الناس في قلق دائم من تلك الطبقة الحاكمة والمستبدة التي أصبحت تضغط عليهم بشدة لاسيما بيركلي الحاكم الذي نظر إليه الناس على انه رجل متعدد الوجوه واللغات في تعامله مع الآخرين، كما ان استمرار تدفق العمال المتعاقدين أصبح يهدد وضعهم الاقتصادي بصورة اكبر ويزيد من رخاء الطبقة الارستقراطية(٨٣) .

أصبح أهالي فرجينيا لاسيما القاطنين في المناطق الحدودية مهيئين تماما للثورة والانتفاض بوجه الحاكم والنخبة الفرجينية من بعده ، ولم يكن يعوزهم سوى شرارة للانفجار، وجاءت تلك الشرارة حينما قامت مجموعة من الهنود بقتل روبرت هين Robert Hen وهو صديق بيكون وجاره، إذ كان بعيداً عن بيته فقام بيكون بجمع أعداد من سكان المناطق الحدودية ولاحق الهنود وقام بقتل عدد منهم،(٨٤) عام ١٦٧٥ وفي السنة نفسها قتل الهنود حارس مزرعة بيكون، وفي تموز من العام نفسه اشتبك الهنود مع التاجر الفرجيني توماس ماثيو Thomas Mathew وذلك لرفضه إبعاد خنازيره عن منطقتهم فقاموا بعبور النهر ودفعوها بعيداً، فنشب القتال بين الطرفين وأدى ذلك إلى مقتل اثنين من خدم ماثيو وابنه،والسبب الحقيقي في تلك الإحداث لا يعود للهنود لأنهم كانوا يسكنون تلك المناطق ويقومون بتشكيل مجموعات لملاحقة الطرائد من اجل صيدها

وبيعها، ومن ثم كانوا يتنقلون بين نهر البوتوماك Potomac في ماريلاند وبين المناطق الجنوبية في فرجينيا وهذا ما تعودوا وما اتفقوا عليه مع الحاكم بيركلي(٨٥)، ويمكن ان يعزى السبب للحاكم نفسه الذي لم يراع اتفاقه مع الهنود وقام بتقسيم تلك المناطق وتوزيعها على الرجال الأحرار متوسطي الحال والفقراء ومن ثم جعلهم عرضة للاشتباكات الدائمة مع الهنود.

حمل بيكون الحاكم بيركلي مسؤولية ما يحدث وطالبه بحماية الأهالي من هجمات الهنود، وأرسل له رسالة تحدث فيها عن التصرفات غير اللائقة وغير المسؤولة تجاه الأهالي وقال له بأنه يأسف لتلك التصرفات التي ان دلت على شيء فإنما تدل على تواطئه مع الهنود، اما رد بيركلي فكان أشبه بالتوبيخ وطالبه بعدم التدخل في العلاقات مع الهنود لان تلك المسألة من صلاحياته (٨٦)، ولم ينس بيكون بأن يذكر الحاكم بضرورة أن ينال حصة معقولة من تجارة الفراء مع الهنود، لكن الحاكم كان قد تقاسم تجارة الفراء مع ابن عمه وليم بيرد William Byred على ان يمنحه ثمانية آلاف جنيه في العام الأول وستة آلاف في العام التالي وقال بيركلي بان ذلك عرض لا يمكن أن ارفضه من وليم بيرد(٨٧)، وبالتالي شعر بيكون بأنه وجيرانه القاطنين في الحدود قد غبنوا قبل الحاكم لأنه يسمح للهنود بالتجول في تلك المناطق بحرية ولا يقوم بمعاقبتهم على أعمالهم ضد ساكني تلك المناطق، ولا يعوض أولئك الناس بان يعطيهم حصة جيدة من منافع تلك التجارة وهذا ما دفع العلاقة بين الحاكم وبيكون إلى التأزم الشديد.

رافق تلك الأحداث قيام الأهالي بالتجمع عند بيت بيكون طالبين منه قيادتهم لتشكيل مليشيا خاصة في مناطقهم ، وتجمع الأهالي في جارلس ستي Charles city ، ولما رأى بيكون تلك التجمعات لم يستطع رفض طلبهم وقبل على الفور، كما انه أراد التوسع على حساب المناطق الهندية لتشكيل منطقة آمنة للسكان(٨٨)، ولكن لم يكن جميع من انضم إلى بيكون من الرجال الأحرار بل انضم إلى بيكون المئات من الرجال المتعاقدين وعدد آخر من العبيد الأفارقة أملاً بخلاصهم من أوضاعهم المزرية وتحسين ظروفهم المعيشية، وشكل بيكون من أولئك ما أسماه بجيش الشعب Peoples Army وتم تجنيد الفقراء في ذلك الجيش ووعدهم بالحرية (٨٩).

وجد بيكون أرضاً خصبة في تلك المناطق الحدودية لتشكيل جيشه، ولاسيما ان عام ١٦٧٦ شهد وضعا صعبا لأولئك الفقراء وقد ذكر المؤرخ ويلكوم واشبيرن، اعتمادا على التقارير الاستعمارية البريطانية، عن تلك السنة ما نصه:" كان ثمة كرب وفقر شديدان ... اذ تتحدث كل المصادر المعاصرة عن جموع الناس الذين يعيشون تحت وطأة ظروف اقتصادية شديدة القسوة ، وكان صيف ذلك العام جافا وافسد محصول الذرة وهو المصدر الرئيسي للطعام كما افسد محصول

التبغ وهو السلعة الرئيسية للتصدير"(٩٠)، والحقيقة ان الفقر هو السبب الرئيس لتلك الانتفاضة وقد عبر بيكون عن ذلك الموضوع في معرض تعريفه بسبب اللجوء للقوة ضد الحاكم قائلاً :" لقد بلغ الفقر في بلادنا حدا جعل كل السلطة والنفوذ في أيدي أثرياء جاروا على الشعب واضطهدوهم بكل الوسائل " وان خلاص الناس من ذلك الفقر الذي سببه استغلال الطبقة الارستقراطية للنفوذ وبالتالي سيطرتهم على الزراعة والتجارة من خلال أساليب ملتوية، يجب ان يكون بالقوة لان " الفضائح بلغت حدا يبرر اللجوء إلى القوة" (٩١) لذلك استطاع بيكون بوقت قصير جدا تكوين جيش من ٥٠٠ فرد، وذكرت زوجة بيكون في إحدى رسائلها التي أرسلتها بتلك الفترة إلى أختها في لندن شرحا عن تجمهر أعداد كبيرة من فقراء الناس بالقرب من منزلهم وهم يقومون بمطالبة زوجها للانتقام لهم من الهنود، ومن الحاكم بيركلي الذي عدوه عدوهم الثاني لأنه أصبح صديقاً مخلصاً للهنود، ثم تتحدث في رسالتها عن قيام زوجها بيكون ورجاله بملاحقة الهنود كل ليلة وقتلهم ، وتصف الحاكم بيركلي بالعدو اللدود لهم وللناس(٩٢) .

بعد تحشد الناس وتجميعهم وإنشاء جيش منهم تغيرت الأحوال والمطالب فعلاوة على رغبة بيكون ورفاقه بإبعاد الهنود عن مناطقهم وشن حرب عليهم تبلورت مطالب جديدة، فاصدر بيكون ما أطلق عليه " بيان رسمي من ناثانيل بيكون فيما يتعلق بالمشكلات الحالية في فيرجينيا" وناشد بيكون في بيانه هذا الناس للتجمع حوله بناءً على ما عانوه من الظلم والجور من جانب أولئك الناس الذين سماهم بيكون بالعصابة، كما جاء في البيان قوله: " اسمحوا لي بتتبع أولئك الرجال في السلطة والتساؤل الآتي ، من وضع يده على أموال البلاد وكيف تتم توزيع الثروات فيها؟ وما هي الغلطة التي ارتكبت عند التوزيع؟ دعونا نلاحظ السعر المرتفع لقيمة ضياعهم ولنرى كم امتص الأسفنج من الأموال التابعة لخزانة البلد، وكيف قاموا بعملية افتعال ما يسمى بخاصة الناس وتفضيل بعضهم الذي لا يستحق على غيره المستحق الحقيقي للثروة، أولئك مشعوذين وطفيليين ومتمسكين برضا الحاكم" (٩٣) ، وفي ذلك البيان وضع بيكون مساراً جديداً لانتفاضته فقد أصبحت الأهداف واضحة المعالم وهي المطالبه بتوزيع الأراضي والثروات بالعدل بين سكان فيرجينيا، ومحاسبة تلك الطبقة الارستقراطية التي كانت تتربح على حساب مصائر الفقراء وحياتهم.

أما نظرته للسياسة الواجب اتخاذها تجاه الهنود فهي : " ان النقطة الرئيسية في ذنبنا هو أننا جميعنا لدينا نفور واضح ضد هجمات الهنود وأعداء الملك والبلاد واللصوص وقطاع الطرق والغزاة ومن تطاول على مصلحتنا ، وفي النهاية يجب ان يكون لدينا تصميم لتدمير جميع

المتاجرات مع الهنود وتدمير تجارتهم مع جيراننا، والتأكيد على إن كل الهنود محظورين حتى القريبين منا"(٩٤)، ويبدو أن بيكون أراد القول بأنه ليس من أعداء الملك وانه من المخلصين له وذلك في محاولة منه لإبعاد انكلترا عن الصراع في فيرجينيا ، وفي نهاية البيان وجه بيكون كلاما مباشرا الى الحاكم بيركلي، إذ قال:" أن جزءا من انتصارنا والشقاء الخاص بك سير وليم بيركلي هو عند مراجعة نفسك. ولتنظر كيف سيكون المظلوم بالنسبة إليك ؟ وكيف لم تسمح له إجراءاتك الخاصة ضد الجيران والأصدقاء سوى البقاء في الفقر... انتم خدعتم الفقراء بأساليب تلاعب بغيضة من غش في الإجراءات"(٩٥) .

واجه الحاكم بيركلي تلك الأحداث بإعلان بيكون متمرداً وان الجيش الذي يتم التطوع فيه غير نظامي،وذلك في العاشر من حزيران ١٦٧٦،(٩٦) وبعد اعتداء بيكون على الهنود في المناطق القريبة من منزله، قام الحاكم بنشر قوات المستعمرة في تلك المناطق وأمر باعتقال ذلك العضو المارق في المجلس وهو بيكون، وبعد اعتقاله سمح الحاكم بإجراء انتخابات جديدة ، وفاز بيكون بتلك الانتخابات على الرغم من كونه مسجوناً ومتهماً بالتمرد،وبعد فوزه في الانتخابات لم يكن أمام الحاكم سوى إخراجه من السجن، مقابل كفالة مقدارها ٢٠٠٠ جنيه،وبعد خروجه اخذ مقعده في مجلس المواطنين وبدت المسألة تسير باتجاه الحل حتى أن بيركلي وعد بيكون بإعطائه تفويضا لقيادة جيش صغير لمقاتلة الهنود، غير انه سرعان ما انتشرت شائعات مفادها أن بيركلي يخطط لاغتيال بيكون وان الأخير يحاول الهرب من جيمس تاون، فقام الأهالي القاطنين على الحدود بالتجمع، وكان أولئك غير مقتنعين بان بيركلي سيشن حربا على الهنود وانه سيخدعهم، لذلك ساروا نحو جيمس تاون والتفوا حول بيكون(٩٧)، وبدأ أتباع بيكون بالتكاثر ولاسيما بعدما رفض الملك مظلمة كان قد قدمها الأهالي بخصوص منح اللورد هوبتون Hopton وعدد أخر من النبلاء، جميع الأراضي الواقعة بين البوتماك ورابا هانوك (٩٨)Rappahannock ، مما أثار استياء ونقمة كبيرة لدى الأهالي الذين وجدوا في بيكون فرصة للانتقام من الملك وطبقة النبلاء.

ثم سار بيكون ورفاقه نحو مناطق الهنود وهجم عليهم وقتل نحو ١٥٠ منهم(٩٩)،وبعد عودته إلى جيمس تاون لحضور اجتماع في مجلس المواطنين حاول بيركلي القبض عليه لكنه استطاع الهرب، ثم اخذ بيكون قرارا بالدخول إلى جيمس تاون وهو يقود جيشه الذي بلغ عدده ٤٠٠ رجل و١٠٠ من الفرسان،وذلك في الثالث والعشرين من حزيران عام١٦٧٦ (١٠٠)،وبعد دخوله جيمس تاون أسرع الحاكم بيركلي وأعضاء المجلس إلى استقباله، وشق الحاكم ثيابه كاشفاً عن صدره وصاح " هيا أطلق رصاصك ! .. اشهد الله على ان الهدف واضح. أطلق" ولكن بيكون

أجاب : " كلا، فقد يرضي فخامتك أننا لن نمس شعرة من رأسك، ولا من رأس أي إنسان. أنما جئنا نطلب تفويضا لننقذ أرواحنا من الهنود ، وهو ما وعدتنا به كثيرا ، ولسوف نظفر به ألان ، قبل ان ننصرف" (١٠١) ولم يكن أمام الحاكم بيركلي إلا الخضوع لمطالب بيكون ورفاقه فقام مجلس المواطنين بإصدار عدد من القرارات المهمة التي عالجت مسألة الظلم الاقتصادي وتجاهل حكومة بيركلي لمطالب الفقراء كما حثت تلك القرارات حثت على قتال الهنود، وجعلت القتال بالصورة الاعتيادية، أي تجهيز حملات عسكرية منظمة ضدهم،بدلاً من بناء الحصون والاحتماء بها، ومنعت تلك القرارات التجارة مع الهنود ، ولعل أهم القرارات التي صدرت هو مشاركة جميع الرجال الأحرار في الانتخابات (١٠٢)، وهذا يعني اشتراك العمال المتعاقدين بعملية صنع القرار في جيمس تاون ومن ثم انتخابهم أشخاصاً يمثلونهم في المجلس مما يدفع نحو تحسين حالتهم الاقتصادية، وتقليص مدة العقود وغيرها من الأمور التي تصب في مصلحة عامة الناس.

غادر بيكون مرة أخرى لقتال الهنود،مما أعطى فرصة مناسبة لبيركلي بجمع قوة صغيرة للاحتماء بها وأعلن مرة أخرى ان بيكون متمرد، ولما سمع بيكون بذلك بادر إلى إعلان ما اسماه "إعلان الشعب The Declaration of The People " وذلك في الثلاثين من تموز، وتضمن نقاطاً عدة حاول فيها بيكون شرح أسباب الانتفاضة والإجراءات الواجب اتخاذها ضد الحاكم وعصبته، وهي على النحو الأتي : "

١) بسبب الأعمال المخادعة من قبل المجلس ورفع الضرائب المظلمة على أبناء مجتمعنا لإعطائها إلى نخبة خاصة، والأفعال الشريرة الأخرى، وبدون ان نلمس أي تقدم في المستعمرة ومنذ وقت طويل مع عدم وجود أي أمل بتطور الأمن والتجارة.
٢) بسبب المعاملة السيئة واحتقار القضاء ومنح المناصب العدلية والقضائية للجهلة.
٣) إن من الظلم أخذ صلاحيات جلالته للاستفادة الشخصية، واحتكار تجارة الفراء، لان في ذلك غبن للرعايا الأوفياء لجلالته ومن ثم مصالحة أولئك الوثنين البرابرة.
٤) لوجود محميات مفضلة وتشجيع الهنود ضد رعايا جلالته، بدون تقديم ما يتوجب عليهم من استخدام وسائل مناسبة لصد الهجمات والسرقات وجرائم القتل التي ترتكب ضدنا.
٥) لما كان جيش الانكليز يلاحق الهنود الذين يقومون ألان بالحرق والفساد والقتل، وعندما أوشكنا وأصبحنا قادرين بكل سهولة على تدميرهم قام السير وليم بيركلي بمسالمتهم بشكل صريح، لقد ترك السير بيركلي قرانا مهجورة وترك جزءاً كبيراً من البلاد بيد الهنود. لقد أصبح ألان وبسبب سياسته من الصعب علينا قهر الأعداء الذين كانوا في متناول أيدينا.

٦) للوقاية ومنع الأذى والخراب الذي سيحصل في حين العدو الوحشي يحتل الأماكن ويفسد ويقتل رعايا جلالته المخلصين. وبناءً على كل تلك الأعمال والأفعال السالفة الذكر فإننا نتهم السير وليم بيركلي بالذنب لأنه انتهك وعرض مصالح جلالته للخطر وسبب خسارة كبيرة لهذه المستعمرة وكذلك الخسارة للعديد من المخلصين لرعايا جلالته، ونتهمه بالخيانة والتواطؤ مع الهنود بالسماح لهم بالتوغل في أراضينا وقتلنا ونحن لا نرغب بمزيد من تلك الأعمال، وعليه قررنا انهاء حكم المجلس الشرير والمتواطئين معه".(١٠٣)

من الملاحظ على إعلان الشعب الذي أعلنه بيكون انه بدأ انتقاداته للحاكم وزمرته من الطبقة الارستقراطية، لاسيما ما تعلق منها بالضرائب والمحاباة بالوظائف واحتكار تجارة الفراء، قبل إشارته لموضوع الحرب على الهنود، وذلك يدل على ان انتفاضة بيكون كانت موجهة بالأساس ضد الحاكم وممارساته السياسية والاقتصادية ولمحاربة استغلال الطبقة الارستقراطية لطبقات المجتمع الأخرى، وان مسألة الهنود ما هي إلا نتيجة لسوء سياسة الحاكم، ومن الملاحظ أيضا تكرار الاعتراف بولائه للملك الانكليزي، وهذا يعطي انطباعا بان بيكون حاول التملق للملك في إظهار طاعته وولائه له، وربما كانت تلك محاولة من بيكون لعدم دفع انكلترا بجيوشها عبر البحار لإنهاء انتفاضته، أو إنها كانت محاولة للتمهيد بتعيين بيكون حاكماً للمستعمرة بدلا من بيركلي ، وما يدفعنا الى هذا الاعتقاد هو سعي بيكون الدائم نحو المال، فهو لم ينس الإشارة الى موضوع تجارة الفراء مع الهنود في أي مناسبة، ودائماً يعيد تكرارها، حتى في بيانه هذا الذي وجهه للشعب، ولا ندري كيف سيستمر بيكون بتجارة الفراء مع الهنود وهو يريد قتلهم وإبادتهم حسبما يعلن دائما ؟ إلا إذا كان هدفه إثارة الناس ضد الهنود وحال حصوله على مبتغاه فانه سيعيد الأمور مع الهنود إلى ما كانت عليه سابقا، وهناك وثيقة تاريخية وهي عبارة عن شهادة مقدمة من السيدة بيرد جيران بيكون، وجاء في تلك الوثيقة ما نصه : " قبل خروج السيد بيكون لقتال الهنود يمكن القول بان هناك ٢٠٠ رجل انكليزي قد قتلوا بطريقة وحشية من قبل الهنود وان الرسائل والمراسلات للحاكم بيركلي أصبحت شبه يومية فيما يتعلق بتلك الأمور، كما ان السيدة بيرد قالت بان ثلاثة رجال قتلوا من قبل الهنود وهذا لم يحدث حيث لا يوجد ما يثبت فعلتهم ، أنهم فقط أصيبوا بجروح ، وتم وضعهم في مكان امن ليصدق الناس إنهم قتلوا"(١٠٤)، وإذا صحت تلك الوثيقة فهذا يدل على ان بيكون وجماعته قاموا بتدبير تلك الأفعال لتهيئة نفوس الناس للثورة على الحاكم بيركلي، وما يدعم صحة كلام السيدة هو ان كل الذين أعلن عن مقتلهم من قبل الهنود كانوا قريبين جدا من بيكون فالأول كان حارس مزرعته والثاني كان جاره والثالث التاجر الفيرجيني كان صديقه وجاره، من

جانب آخر ربما تكون تلك السيدة تعرضت لإغراءات مالية او توعدت بالعقاب، ولذلك أعطت تلك الشهادة بحق بيكون، ويبقى هذا الأمر قابلاً للتأويل لأنه لا يوجد ما يؤكد صحة ذلك الكلام او نفيه بشكل قاطع.

مهما يكن من أمر فقد بدأ رجال بيكون بالتعب والإرهاق ولاسيما ان الانتفاضة وقعت في الصيف،وأخذت أعدادهم بالتقلص وبقي معه ١٤٠ رجلا، ومن ثم أعلن بيكون نفسه جنرالا وأصبح ينادى بالجنرال بيكون،ثم عاد الى جيمس تاون بعد علمه بنية الحاكم باستدعاء مليشيا من المستعمرات المجاورة،ثم حاصر المدينة ودخلها وقام بإحراق خمسة منازل كبيرة عائدة لعشرين رجلاً من أتباع بيركلي، وذلك في ليلة التاسع عشر من أيلول ١٦٧٦، لكنه لم يظفر ببيركلي الذي استطاع الهرب عبر القوارب خارج المدينة،ومن ثم غادر بيكون جيمس تاون متوجهاً الى تيندالس Tindalls في مقاطعة كلوسستر Gloucester إذ استولى على مقر المجلس فيها، وقام مندوبو بيكون بجمع تعهدات من الناس وقسم يمين الولاء لبيكون، وعموما لم يؤثر بيكون في مقاطعة كلوسستر لان بيكون مات بالملاريا في تشرين الأول ١٦٧٦(١٠٥)، في حين ذكر آخرون انه مات نتيجة توقف كبده عن العمل لأنه كان سكيراً، ورجح أولئك انه تناول في يوم وفاته كماً هائلاً من مشروب البراندي(١٠٦).

اما عن موقف الحكومة الانكليزية فلم يتضح إلا بعد أشهر من قيام الانتفاضة لان الأخبار لم تصل بسرعة لان بيكون ورفاقه كانوا يسيطرون على الممرات المائية الموصلة للشاطئ، ومع ذلك كان أول رد للملك شارل الثاني على تلك الانتفاضة هو عد بيكون خارجاً عن القانون ويجب إلقاء القبض عليه ومحاكمته وجاء ذلك الموقف من خلال الرسائل التي أرسلها شارل الثاني الى أخيه الدوق يورك Duke York حاكم مستعمرة نيويورك ، والى اللورد بالتيمور حاكم مستعمرة ماريلاند، بتاريخ الثلاثين من أيلول ١٦٧٦، حملت الرسالتان المضمون نفسه ، وهو التعريف ببيكون وما فعله، والطلب من حاكمي المستعمرتين تشكيل وحدات عسكرية والذهاب إلى فرجينيا والقبض على قائد التمرد بيكون، وجاء في كلتا الرسالتين ما نصه: " لقد تعرضت الهيبة الملكية إلى اهانة كبرى وضرر كبير لمصالحنا في فيرجينيا، فضلا عن الخطر الكبير الذي سينتشر إذا لم يسحق التمرد ويعاقب فاعلوه،فقد تنتشر العدوى الى المزارعين المجاورين،وعليه يجب الاحتياط بصورة كبيرة ومراقبة ومعاقبة الكتبة والمحرضين الخونة والخبثاء...."(١٠٧)، والواضح من كلمات الرسالة ان الملك كان يخشى انتشار تلك الانتفاضة لباقي المستعمرات مما يهدد بضياعها من التاج الانكليزي، كما ان الملك لم يصل له أي شيء عن إصدارات بيكون لأنه لم تكن تصل إليه إلا

الإخبار التي تتعلق بأفكار بيكون عن العدالة والمساواة، مع تضخيمهم للإعمال التي قام بها بيكون، وكان هناك الكثير ممن يرسلون التقارير الى انكلترا، منهم المحامي وليم شيرود، الذي وصف بيكون بأنه جاهل واستطاع إثارة الجهلة والساخطين على حكومة جلالة الملك، وانه يثير الرعب للناس الحكماء والعادلين الذين تهمهم مصالح جلالة الملك والبلاد، ويصف الحاكم بيركلي بالمتزن والشريف، الذي انفق الأموال لأجل إعمار فيرجينيا وتطويرها وتأمين العيش الكريم للناس،ويستمر بتقرير طويل جدا على هذا المنوال، وكان شيرود يرسل تقاريره إلى وزير الدولة السير جوزيف وليمسون Joseph Williamson (١٠٨).

من جهة أخرى كان الملك يخشى من تنامي قوة بيكون واتصاله بالهولنديين للمساعدة، لاسيما بعد انتشار كلمات لإحدى زوجات رفاق بيكون التي قالت فيها بإن:" قوة الجيش الانكليزي ستكسر كحزمة من القصب"(١٠٩)، وفسر ذلك على ان بيكون قد ينتظر مساعدة من دولة قوية ولاسيما هولندا التي كانت تعادي انكلترا في البحار، وبناءً على تلك الأمور اتخذ الملك موقفه الصريح وهو رفض تلك الانتفاضة والقبض على قادتها ومحاكمتهم بتهمة الخيانة العظمى،وبناءً على ذلك اصدر الملك شارل الثاني تعليماته إلى الحاكم بيركلي الخاصة بالإجراءات الواجب اتخاذها تجاه تلك الانتفاضة، وذلك في الثالث عشر من تشرين الثاني١٦٧٦ ، وشددت مقدمة التعليمات على ضرورة التقيد بها من دون تأويلها، وأهم ما جاء فيها:-"

١) أنت غير ملزم بدعوة المجلس للانعقاد كل سنة، بل يعقد المجلس كل سنتين، الا في حالة الطوارئ القصوى.
٢) عليك توخي الحذر والدقة في اختيار الأعضاء المرشحين لانتخابات المجلس، ويجب ان يكونوا من الرجال الأحرار الذين لا يعارضون سياسة انكلترا.
٣) عليك السعي لنيل سلام مطمئن مع جيرانك الهنود،وان تقوم أنت بإدارة عملية السلام التي يجب توثيقها بمعاهدة، وبإمكانك اخذ مشاورة مساعدينا ومفوضينا الذين أرسلناهم من هنا إلى المستعمرة.
٤) خلال هذه الاضطرابات عليك تنفيذ تعليماتنا بحذافيرها ، ولا تسمح لأي احد بالوصول الى الشاطئ او أي سفينة تجارية او غيرها للرسو في أي ميناء، ولا تسمح لأي احد بالتنقل في الطرقات بدون ترخيص، وعليك اخذ الحذر الشديد من ناثانيل بيكون ولا تسمح لرفاقه بفعل أي شيء.

٥) عليك حين وصول مفوضينا ، ان تقوم حالاً بدعوة مجلس جديد، اما المجلس القديم فلديك تخويل منا بحله.

٦) عليك إعلان إبطال وإلغاء كل الإجراءات التي اتخذها المجلس السابق، حيث أعلن فيه عن العفو عن ناثانيل بيكون والمتواطئين معه.

٧) حال استلامك تعليماتنا عليك القيام باستدعاء ناثانيل بيكون على الفور لإحضار نفسه في مكان معلوم ليحاكم على أعماله، أو ترسله لنا على ظهر سفينة مع الأدلة التي تدينه على جرائمه.

٨) إذا رفض المدعو ناثانيل بيكون تسليم نفسه، فعليك نشر إعلان فوري بذلك،ومن ثم تستخدم القوة لمحاصرة الطرق ومباغتته.

٩) عليك تخفيض رواتب أعضاء المجلس بما يتناسب و متوسط دخل الناس في البلد.

١٠)طبقاً لتعليماتنا الصادرة إليك عليك ان تمنح كل سنة حساباً لقنصلنا المخول بالتجارة والزراعة، وإذا رغبت لمزارعينا وغيرهم من مندوبينا".(١١٠)

هذه التعليمات توضح موقف الملك من الانتفاضة وطريقة التعامل معها،وعلى الرغم من وصولها متأخرة لان بيكون مات قبل وصولها، لكنها توضح خشية الملك من تفاقم الأوضاع السياسية في المستعمرات الأمريكية، لذلك تعد هذه التعليمات بمثابة أول ورقة لمحاولة إصلاح الأوضاع في المستعمرة، وهذا يحسب للانتفاضة وقائدها ، على الرغم من انتهائها وموت بيكون، إلا انه يمكن القول ان أهدافاً عدة تحققت من تلك الانتفاضة أهمها إعادة الانتخابات إلى المستعمرة لكل سنتين وبذلك تضيع الفرصة على الحاكم الحالي والحكام المستقبليين في قيامهم بتعيين من يرغبون كأعضاء بالمجلس من دون الرجوع لشعب المستعمرة وذلك الأمر كان احد أهم أسباب الانتفاضة، وثانيها تقليص رواتب أعضاء مجلس المواطنين وجعلها مقاربة لمتوسط دخل الفرد في المستعمرة، وهذا من شأنه ان يقلل من سعي الطبقة الارستقراطية للحصول على مقاعد في مجلس المواطنين، وهو في الوقت نفسه اعتراف ضمني من الملك باستغلال تلك الطبقة للنفوذ السياسي لأجل تحقيق أهداف مالية،أما ما يثير النظر بتلك التعليمات هو موقف الملك من الهنود اذ عدهم جيراناً ولم يعدهم وحوشاً او همجاً او برابرة يجب قتلهم مثلما كان يفعل المستوطنون وقادتهم، وطلبه عقد معاهدة معهم يدل على اعترافه بأن الهنود امة يجب احترامها، وهذا ما لم يفهمه بيكون وغيره من المستوطنين، والحقيقة ان سياسة انكلترا طوال الفترة المنصرمة كانت تميل الى مهادنة

الهنود والاتفاق معهم، لكن المستعمرين الطامعين يميلون الى التوسع على حساب المناطق الهندية و كانوا يفضلون قتل الهنود وإبادتهم بحجج كثيرة لغاية اخذ أراضيهم ليس إلا.

وبعد إعطاء التعليمات إلى بيركلي أرسل الملك شارل الثاني لجنة ملكية عينها هو للاطلاع على الأوضاع في فيرجينيا وتقويمها وبيان تفاصيل الإحداث منذ انطلاق الانتفاضة، ووصلت اللجنة في التاسع والعشرين من كانون الأول عام ١٦٧٦، وكانت تلك اللجنة مخولة من الملك بمنح عفو عن رجال بيكون، لكن الحاكم بيركلي رفض ذلك العفو كما رفض ان تتولى اللجنة قيادة المستعمرة بدلاً عنه، وقام بإلقاء القبض على ثلاثة وعشرين من رجال بيكون وأعدمهم شنقاً،وأرسلت اللجنة تقريراً بذلك (١١١)،كما أرسل الملك جيشا ملكيا قوامه ١١٠٠ مقاتل على ظهر ثلاث سفن انكليزية، ويقودها ثلاثة من كبار القادة، ووصل ذلك الجيش في بداية عام ١٦٧٧، أي بعد موت بيكون، والمهمة الأولى لذلك الجيش كانت إعادة الأمور إلى نصابها في فيرجينيا وتثبيت الحكم فيها(١١٢)، وكان لوصول ذلك الجيش غاية أخرى وهي عدم فسح المجال لأي محاولة لتنظيم صفوف المعارضة بعد موت قائدها، وكذلك جاء ذلك الجيش لإعطاء درس لكل المستعمرات التابعة لانكلترا بعدم التجاوز على السياسة الملكية ، وعدم التفكير مستقبلاً بتنظيم مثل تلك الانتفاضة.

أفرزت انتفاضة بيكون تغيرات سياسية واجتماعية عدة ، أهمها كسر الناس لحاجز الخوف ليس في فيرجينيا وحدها بل في المستعمرات الأمريكية كلها ، اذ شعر المستوطنون ان بإمكانهم القيام بانتفاضات او ثورات ضد حكامهم التابعين للملك وللطبقة الارستقراطية الانكليزية، ولطالما عدت انتفاضة بيكون الأساس الذي قامت عليه الثورة الأمريكية فيما بعد،أما التغيرات الاجتماعية فبعد انتفاضة بيكون شعر ملاك الأراضي بضرورة تغيير العلاقات الإنتاجية وعدم اعتمادهم على العمال المتعاقدين لأنهم أصبحوا يمثلون خطراً على حياتهم ومستقبلهم الاقتصادي لذلك عمدت تلك الطبقة إلى إنهاء العقود الخاصة بالعمال وإعطاء اغلب العمال حرياتهم، لاسيما ان العادة جرت على إسكان العمال المتعاقدين بمنزل السيد نفسه لمنعهم من الهرب، ولكن بعد الانتفاضة عمد الكثير من أهالي فيرجينيا إلى ترك العمال المتعاقدين ومنحهم حرياتهم ليذهبوا ويؤسسوا حياتهم الخاصة خشية منهم (١١٣) ، ونظير ذلك اخذ ملاك الأراضي يبحثون عن بديل آخر ونظام جديد للعمال وكان ذلك النظام هو العبيد، فعلى الرغم من ان العبيد كانوا موجودين قبل انتفاضة بيكون إلا إن أولئك لم يكونوا يعدون عبيدا بمفهوم ما بعد الانتفاضة اذ كان العبد لا يفرق كثيرا عن العامل المتعاقد بل كان أوفر حظاً منه،فمنذ عام ١٦٦٩ صدر قانون من مجلس مواطني فيرجينيا يجرم كل

من قتل عبدا من خلال استخدام القوة المفرطة في تعذيبه(١١٤)، أي يعد قتل العبد جنحة يحاسب عليها القانون وذلك لقلة العبيد آنذاك وغلاء ثمنهم ، في حين لم يكن القانون يجرم من قتل العامل المتعاقد، لكن بعد الانتفاضة بوقت قصير وهو عام ١٧٠٠ أصبح عدد العبيد يوازي عدد العمال المتعاقدين ويكثرهم قليلا، ومنذ ذلك التاريخ قلبت المعادلة الاجتماعية في فيرجينيا إذ اصدر مجلس المواطنين امراً بضرورة تحسين الظروف الاقتصادية للعمال الفقراء من البيض الذين أصبح أكثرهم زراعاً بمزارعهم الخاصة، ودعمهم لزيادة دخلهم حتى يصبح بإمكانهم شراء العبيد(١١٥). واستمرت الأمور على هذا المنوال ونجد مثلا في عام ١٧٠٨ قيام احد مواطني فيرجينيا المثقفين (وكان يكتب تقارير عن فيرجينيا) وهو ادموند جينينجز Edmund Jennings ،بكتابة تقرير يذكر فيه بأنه لم يصل فيرجينيا منذ سنوات أي عامل متعاقد ابيض بينما وصل الآلاف من العبيد المجلوبين من أفريقيا (١١٦) ، وهكذا تغيرت الطبقات الاجتماعية في فيرجينيا بسنوات قليلة فقط، وانتهت طبقة العمال المتعاقدين ولم يعد لهم وجود، وهذا التغيير كان نتيجة من نتائج انتفاضة بيكون.

كانت انتفاضة بيكون أول انتفاضة في المستعمرات الأمريكية، وجاءت تلك الانتفاضة بالدرجة الأولى كرد فعل عن سوء الأحوال الاقتصادية للرجال الأحرار من مالكي الأراضي الفقراء، ومن طبقة العمال المتعاقدين الذين تذمروا من أسلوب حياتهم وتحكم الملاك بها وبيعهم وشرائهم كالعبيد بل أكثر من ذلك، ولهذا ما ان اعترض بيكون على ارستقراطيي المستعمرة وسياستهم حتى التفوا حوله وقاموا معه معلنين عدم رضوخهم للحاكم ومن تبعه. على الرغم من ان قائد الانتفاضة ناثانيل بيكون كانت لديه طموحات شخصية كبيرة لجني المال بسرعة وهو السبب الذي دفعه للقدوم الى فيرجينيا، لكن ذلك لم يمنع من توسع طموحه السياسي لاسيما بعدما وجد الوضع السياسي في المستعمرة غير منصف بالنسبة لساكنيها، وان اغلب سكان فيرجينيا غير ممثلين في برلمانها الصغير وهو مجلس المواطنين، ولما كان بيكون عضوا في ذلك المجلس فقد علم كيف ان الحاكم وأعضاء المجلس لا يفكرون الا بتوسيع مزارعهم وزيادة ثرواتهم ولا يهتمون بأمر الفقراء على الحدود الذين كانوا بين نار الفقر التي جردتهم من كل كرامة إنسانية، وبين سوء المنطقة التي يسكنوها فالماء الذي يشربونه مليء بالملاريا والأمراض الأخرى التي لا تعد ولا تحصى، ناهيك عن درجات الحرارة العالية، وما تحويه الغابات من حيوانات مفترسة، وفوق كل ذلك يقوم الملك بإقطاع الأراضي الكبيرة الى السيد الإقطاعي النبيل، فينقل أولئك العمال الى مناطق الهنود فيكون الموت مصيره الحتمي، وقد عاش بيكون في تلك المناطق وشرب من نفس الكأس

التي شرب منها الناس هناك كل يوم فذاق مرارة الحياة وصعوبتها، وإذا ما تعرض الإنسان الى تلك التجارب فأنها لا بد ان تغير مبادئه وفهمه للحياة، لذلك نجد بيكون غير من أهدافه، فلم تعد الأموال هدفه الأول والأخير لقد أصبح بيكون مقاتلا ونصب نفسه جنرالا، وكل خطوات بيكون اللاحقة تدل على انه كان يسعى للسيطرة السياسية التامة على المستعمرة، من خلال بياناته المتعددة من عمر الانتفاضة القصير، فانتفاضته لم تدم أكثر من ثلاثة أشهر (حزيران ، تموز ، آب) لذلك لم تتوضح أهدافه السياسية بصورة اكبر، ومع ذلك فلا يبدو ان بيكون كانت له مطالب ضيقة الأفق ، بل كانت مطالبه من خلال ما طرحه من بيانات تتخطى حدود فيرجينيا ، وكان بيكون أول أمريكي يطرح مبدأ العدالة الاجتماعية وتقاسم الثروات وتوزيعها بشكل عادل، ومرت مئة عام أخرى حتى استطاعت المستعمرات الأمريكية تحقيق بعض ما طرحه بيكون، لكن تلك الثورة لم تحقق مبدأ العدالة الاجتماعية، رغم تحقيقها الاستقلال السياسي، ورغم تعدد وتنوع قادتها، لكن لم يوجد فيهم قائد سياسي مثل بيكون فكلهم كانوا من ارستقراطي فيرجينيا ولم يجربوا يوما من الأيام العيش مع العبيد والفقراء. ولكل تلك الأسباب ظلت انتفاضة بيكون علامة بارزة في التاريخ الأمريكي.

هوامش البحث ومصادره

(١)هنري بامفورد باركيز، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية ، تمدد أوربا (المرحلة الممهدة لاكتشاف العالم الجديد) حتى نمو المثالية الاجتماعية (١٤٩٢-١٨٥٠)، ترجمة وتعليق ، علي البديري، بيت الحكمة بغداد، ٢٠١٣، ص ٧٩-٨٠

(٢) هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية (من الاكتشاف الى الاستقلال)، بغداد ٢٠١٣، ص٦٠.

(3) Howard W. Preston, Documents Illustrative of American history 1606-1863,New York 1886,P 1-14.

(4) Peter T. Bardley, British Maritime Enterpries in the New World, from the late fifteenth of the mid-eighteenth century , Wales, 1999, P. 314

(5) Alan Brinkley, A Survey, American history, New York, 2007, P.3.

(٦) جون سميث، جندي وبحار ومغامر وكاتب انكليزي، ولد في لينكولنشير Lincolnshire في انكلترا عام ١٥٧٩ ، أصبح جنديا في الجيش الانكليزي وما لبث ان وجد نفسه في ترانسلفانيا، حيث اسر هناك من قبل الأتراك وبيع في اسطنبول كعبد، لكنه استطاع الهرب وعاد الى انكلترا عام ١٦٠٤ ، ثم انظم الى شركة فرجينيا وكان من ضمن المستوطنين الأوائل في جيمس تاون عرف بقوة إدارته للمستعمرة الجديدة، لكنه عاد فجأة إلى انكلترا عام ١٦٠٩ ، وبقي فيها حيث كتب عدة كتب عن فرجينيا وجغرافيتها ، توفي عام ١٦٣١ ، للتفاصيل ينظر :

Pan L. Thrapp,Encyclopedia of Frontier Biography, Vol 3, U.S.A 1988, P. 1332.

(٧) باقي الشخصيات هي :

Edward Wingfield, Christopher Newport, Bartholomew Gosnold ,) (George Kendall , Joho Ratcliff للتفاصيل ينظر: { Carles E. Pederson , The Jamestown Colony, Minnesota 2009,P.30

(٨) جون ستيل جوردون، إمبراطورية الثروة، التاريخ الملحمي للقوة الاقتصادية الأمريكية، ترجمة محمد مجد الدين باكير، الكويت ٢٠٠٨، ص ٢٠.

(9) Carles E. Pederson, Op.Cit,, P.52.

(10) Michael Leroy Oberg, Dominion and Civility English imperialism and Native America , 1585-1685,New York 2003, P.58-59.

(١١) جورج برسي: ولد في انكلترا وهو الابن الأكبر لهنري برسي ايرل منطقة نورثومبرلاند Northumberland تخرج من جامعة أكسفورد عام ١٥٩٧، وكان احد المستوطنين الأوائل في جيمس تاون منذ عام ١٦٠٧، عمل كمساعد لجون سميث من ١٦٠٧ -١٦٠٩، ثم حكم المستعمرة بعده، غادر فرجينيا عام ١٦١٢ ولم يعد اليها ابدا ، باع حصته من شركة فرجينيا عام ١٦٢٠،وخدم بالجيش الانكليزي للفترة من ١٦٢١-١٦٢٧، توفي في انكلترا عام ١٦٣٢ ، للتفاصيل ينظر،

Virginia Bernhard, A tale of Two colonies , Really Happened in Virginia and Bermuda , University of Missouri 2011, P.102

(12) Quoted in, Sarah Mc Bee , The history of the Jamestown colony: seventeenth – century and modern Interpretations, A Senior Honors Thesis, Presented to the Ohio State University at Mansfield, 2009, P. 23.

(١٣) لم يبق توماس سميث في فيرجينيا بل رحل الى لندن، وظل حاكما اسميا للمستعمرة، ومع ذلك فالشكوى يجب ان تقدم باسمه لانه المسؤول أمام الشركة.

(١٤) نقلا عن : هوارد زن، التاريخ الشعبي للولايات المتحدة، ترجمة ، شعبان مكاوي، القاهرة ٢٠٠٩، الجزء الأول ، ص ٥٩

(١٥) السير جورج ياردلي (١٥٨٧- ١٦٢٧) ولد في انكلترا في ساوثوارك Southwark عام ١٥٨٧، ابوه كان تاجرا لكنه اختار مهنة أخرى حيث عمل في بداية حياته جنديا ثم انضم الى شركة انكليزية مهمتها تجهيز الجيش الانكليزي بالطعام، أصبح من ملاك الأراضي فيما بعد، ثم انضم الى شركة فرجينيا كأحد المساهمين فيها، غادر انكلترا متوجها الى جيمس تاون منذ عام ١٦٠٩ لكن سفينته تاهت في مثلث برمودا ولم تصل الا بعد سنة، انتخب حاكما لمستعمرة فرجينيا عام ١٦١٩ واستمر بهذا المنصب حتى عام ١٦٢١ حيث أصبح نائبا في مجلس المستعمرة ثم أصبح حاكما للمستعمرة مرة اخرى عام ١٦٢٦ واستمر حتى وفاته عام ١٦٢٧، للتفاصيل ينظر:

John W.Jordan, Colonial and Revolutionary Families of Pennsylvania, Maryland 2004, P. 251.

(16) Carles E. Pederson, Op.Cit, P.77.

(17) Alan Brinkley, Op.Cit, 3.

(18) Carles E. Pederson,P. 77.

(١٩) حدث في نهاية حكم جورج برسي هجرة عكسية نتيجة سوء تصرف الحكام وكذلك المجاعة التي حدثت بين ١٦٠٩-١٦١٠، ينظر:

Sarah Mc Bee,Op.CitP. 23

(20) John W . Jordan, Op.Cit, P. 251.

(21) Carles E. Pederson, Op.Cit ,P. 86.

(22) Theodor W. Allen, The Invention of the white Race, The Origin of Raical Oppressin in Anglo – America , New York 1997, P. 49.

(23) W .W. Henry, The First Legislative Assembly in America : Sitting at Jameston, Virginia, 1619, The Virginia Magazine of History and Biograhy , Vol.2 No.1(Jul,1894), P. 66.

(٢٤) دأب اغلب المؤرخين والكتاب الأمريكيين ومن بعدهم العرب الى القول بان شركة فرجينيا كانت قد خسرت خسارة فادحة من جراء استثمارها في بناء مستعمرة فرجينيا، لذلك بناءً على تلك الخسارة وتزايد هجمات الهنود على المستوطنين قرر الملك تحويل الملكية، لكن في الحقيقة ان ذلك غير صحيح البتة ويمكن إثبات عكس ما يكتب عن ذلك الموضوع الذي يحتاج لإعادة

نظر، فمثلا كانت هناك أكثر من ست مستعمرات تتبع الملك بصورة مباشرة ولم تكن تلك المستعمرات بأفضل حال من فرجينيا من خلال تعرضها لهجوم الهنود المتكرر ولم يهتم الملك بذلك الأمر أبدا، هذا من ناحية اما من جهة الشركة فالمعلوم ان اغلب رجالها المؤسسين كانوا أما حكموا فرجينيا مثل جون سميث وجورج ياردلي، او كانوا أعضاء بمجلسها النيابي، واغلب هؤلاء كتبوا مذكرات عن حياتهم في فرجينيا، لكن لم يذكر أي احد منهم بأنه خسر مالا ، بل على العكس اننا نجد ياردلي أصبح من الأغنياء نتيجة تجارته بالتبغ، كما ان المبالغ التي يستشهد بعض الكتاب بها ما هي الا مبالغ مدونة في سجلات الشركة التي لم تكن تخضع لأي رقابة حكومية وبالتالي فمن الطبيعي جدا ان يتلاعب أصحاب الشركة بتلك الحسابات للتهرب من دفع الضرائب الكبيرة للملك، ان الموضوع لم يكن أكثر من جشع الملك جيمس الأول ورغبته بالاستحواذ على اكبر قدر من الأموال.
للتفاصيل عن الذين تبنوا رأي خسارة الشركة ينظر، جون ستيل جوردون، المصدر السابق ، ص٢٩، الان نيفينز وهنري ستيل كوماجر، موجز تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة محمد بدر الدين خليل،ط ١، القاهرة ١٩٩٠، ص٢١
(٢٥) فرانسيس وايت، هو ابن السير جورج فرانسيس ووالدته ابنة السير توماس فنج تزوج من ابنة السير ادوين ساندیز وهو اخو جورج ساندیز صاحب اكبر اسهم في شركة فرجينيا، حكم فرجينيا مرتين الاولى ١٦٢١- ١٦٢٦ والثانية ١٦٣٩-١٦٤٢، عاد الى انكلترا عام ١٦٢٦ ورجع مرة اخرى الى فرجينيا بعد تعيينه حاكما عليها عام ١٦٣٩، عزله الملك شارل الاول عام ١٦٣٩ لتردي حالته الصحية وكبر سنه، مات عام ١٦٤٤ ودفن في فرجينيا، ينظر
Encyclopedia of Virginia Biography ,New York 1915, Vol 2, P. 42-43.

(26) Amy Waters Yarsinske, Virginia Beach, A History of Virginias Golden Shore, UK 2002, P. 29-30
(٢٧) جون هارفي : ولد حوالي عام ١٥٨٢ او ١٥٨٣، واصله من اقليم ليم ريجيز **Lyme Regis** الواقع على الساحل الجنوبي لانكلترا، لا تعرف حياته المبكرة جدا، لكنه كان قبطان سفينة، واصبح مالكا لها، عمل منذ بداية العشرينيات من القرن السابع عشر على نقل الناس من انكلترا الى فيرجينيا، فمنحته شركة فيرجينيا اقطاعية كبيرة في المستعمرة عام ١٦٢٢، وعين عام ١٦٢٣ كمندوب في اللجنة الملكية لزيارة فيرجينيا، بعد خسارته لمنصبه كحاكم لفيرجينيا بقي في المستعمرة لمدة عام ثم عاد الى انكلترا عام ١٦٤٠، ولم يكن له أي دور سياسي بعد ذلك، مات ١٦٥٠، ينظر:
Marth W. McCartnen , Virginia Immigrants and Adventurers , 1607-1635: A Biographical Dictionary , Baltimore 2007, P. 272-274.
(28) Wilcomb E. Washburn, Virginia Under Charles and Cromwell, 1625-1660, Virginia 1957,P. 10 -14.

(29) Lyon Gardiner Tyler, England in America , 1580-1652, New York 1969,P. 102.
(30) Michael Leroy Oberg , Dominion and Civility English Imperialism and Native American , 1585-1685, U.S.A 1999, P.179.
(٣١) للاطلاع على نص الدعوة ينظر،

Warren M. Billings, The Old Dominion in The Seventeenth Century : A Documentary History of Virginia 1606-1700, North Carolina 2007, P. 240-249.

(32) Wilcomb E. Washburn, Op.Cit ,P. 10 .

(33) Lyon Gardiner Tyler, Op. Cit,P. 103

(34) George Bancrofe , A History of the United States , from the Discovery of the American continent to the present time , Vol,1,Boston 1834,P.218.

(35) Steven L. Danver, Op.Cit,P. 11.

(٣٦) الحرب الأهلية الانكليزية: بدأت هذه الحرب عام ١٦٤٢ حينما أصر الملك على مطالبه المالية وأصر البرلمان الطويل على عدم منحها دون الرجوع اليه، وانقسمت البلاد الى قسمين فسيطر البرلمان على شرق وجنوب انكلترا بينما كان الملك يسيطر على المناطق الشمالية والغربية، وانتهت تلك الحرب بفوز جيش البرلمان، ومن ثم سيطرة اولفر كروموبل على البلاد وإعلان نفسه حامي الجمهورية واستمر بالحكم حتى وفاته عام ١٦٥٨ ثم انتقل الحكم الى ابنه ريتشارد الذي لم يستطع الاستمرار بحكم البلاد لذلك قرر التنازل عن السلطة الى ابن شارل الاول الذي حكم منذ عام ١٦٦٠ باسم شارل الثاني، للتفاصيل ينظر، عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار،التاريخ الاوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا، بيروت، د.ت، ص ٢٣١-٢٣٤.

(37) Thomas J. Wertenbaker, Bacons Rebellion 1676, Virginia 1964,P. 2.

(38) Mary Beth Norton and others , A people abd Nation: A History of United States, New York 2012, P. 43.

(٣٩) هاشم صالح التكريتي، مقدمة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية الحديث(من الاكتشاف الى الاستقلال)بغداد ٢٠١٣، ص ٩٢.

(40) Edward L. Ayers And Others, American Passages: A History of the United States, Fourth Edition, Boston, 2010,P. 35.

(41) Steven L. Danver , Revolts, Protests, Demonstrations, And Rebellions In American History, vol, 1, California 2011,P. 15.

(42) John Dobson, Bulls, Bears,Boom, And Bust, Historical Encyclopedia of American Business Concepts, California, 2007,P. 36

(43) Richard B. Morris, Government and Labor in Early America, New York 1965,P.4.

(٤٤) قدم الى فرجينيا عام ١٦٦٨، بعد ان توسط له السير جوزيف وليمسون، للتفاصيل ينظر، Virginia Historical Society, Bacons Rebellion, The Virginia Magazine of History and Biography , Vol.1,No.2(Oct.,1893) P.167.

(45) James Curtis Ballagh, white Servitude in the colony of Virginia , A study of the system of indentured laboring the American colonies, Baltimore 1895, P. 34.

(46) Amy Waters Yarsinske, Op.Cit, P. 29.

(٤٧) الان نفييز وهنري ستيل كوماجر،المصدر السابق ، ص ١٨٨.

(٤٨) هوارد زن، المصدر السابق، ص ٩١.

(49) Young Park , The Dark Side Immigrants ,Racism, And the American Way, U.S.A 2012, P. 21.

(50) James A. Delle, The Colonial Caribbean : Landscapes of Powering the Plantation System., Cambridge University Press 2014, P.228.

(51) Quoted in , Edmund S. Morgan, American Slavery, American Freedom: The Ordeal of Colonial Virginia, New York 1975, P. 292.

(٥٢) جون ستيل جوردون، المصدر السابق ، ص ٣٥.

(53) Edmund s. Morgan, Op.Cit ,P. 146-147.

(54) Thomas J. Wertenbaker Op.Cit, P. 2

(55) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, JamesTown Colony, Apolitical , Social , and Cultural History , California 2007 ,P. 20.

(56) Quoted in, Thomas J. Wertenbaker , Op. Cit ,P. 3.

(٥٧) للتفاصيل عن هذا الموضوع ينظر:

Wilcomb E. Washburn , Virginia Under Charles 1 and Cromwell ,1625-1660, Virginia 1957.

(58) Steven L. Daver,Op.Cit,P.12.

(59) Frank E . Grizzard, Op.Cit,P. 20.

(60) Steven L .Danver, Op.Cit,P.18.

(٦١) كانت تلك القبيلة متحالفة مع الانكليز منذ بداية إنشاء جيمس تاون عام ١٦٠٧، حيث اتفق زعيمها مع جون سميث على السلام بينهما، وأرسل له خطابا طويلا تحدث فيه بفلسفة رائعة عن الحرب والسلام وتسأل عن أمكانية عيش الهنود الانكليز معا لكن تبقى لكل امة عاداتها وتقاليدها، وتحدث معه عن أمكانية التبادل التجاري بين الطرفين وخيره بين الحرب والسلام، واختار جون سميث السلام، وطبقا لتلك الاتفاقية تم تزويد سكان المستعمرة بالطعام وهذا ما نقذهم من الموت المحقق، للاطلاع على نص الرسالة ، ينظر،هوارد زن ، المصدر السابق، ص ٤٢.

(62) Edmund S .Morgan, Op.Cit ,P. 149.

(63) Steven L .Danver, Op.Cit,P.12.

(64) Thomas J. Wertenbaker, Op. Cit, P. 5-6.

(65) Ibid ,P. 7.

(66) Robin Blacburn , The Making of New Waorld , Slavery from the Baroque to the Modern, 1492-1800, New York 1997, P. 256.

(67) Edmund S .Morgan, Op.Cit, P.292.

(68) Quoted in , Ibid .P. 292.

(69) Thomas J. Wertenbaker, Op. Cit,P. 9.

(70) Quoted in, Robin Blacburn, Op. Cit,P. 257.

(71) Frank N . Magill , The 17th and 18th Centuries Dictionary of World Biography , Chicago 1999, Vol, 4 , P.80.

(72) Thomas J. Wertenbaker, Op. Cit,P. 9.

(73) Thomas J. Wertenbaker, Op. Cit,P. 9
(74) Frank N. Magill, Op.Cit,P. 80.
(75) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, Op.Cit ,P. 20.
(76) Ibid ,P.20.
(77) William Ware , A Memoir Of Nathaniel Bacon, In,Jared Sparks, The Library of American Biography , Boston 1844,P. 247.
(78) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, Op.Cit ,P. 20
(79) Thomas J. Wertenbaker, Op. Cit,P. 10
(80) Quoted in , Ibid, P. 10
(81) Steven L .Danver, Op.Cit,P,10.
(82) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, Op.Cit ,P. 20.
(83) James A. Delle, Op. Cit , P. 228.
(84) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, Op.Cit ,P.20.
(85) Steven L . Danver ,Op.Cit ,P. 18.
(86) Thomas J. Wertenbaker, Op. Cit,P. 10-11.
(87) Ibid, P. 11.
(88) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, Op.Cit , P. 22.
(89) Steven L . Danver ,Op.Cit ,P. 16.
(٩٠) نقلا عن ، هوارد زن ، المصدر السابق، ص ٨٥.
(٩١) نقلا عن ، كلود جوليان، الحلم والتاريخ او مئتا عام من تاريخ أمريكا، ترجمة، نخلة كلاس، دمشق، ١٩٨٩، ص ٥٧.
(92) A copy of Mrs.Bacons Letter, sent to her sister, in June 29, 1676, Omohundro Institute of Early American History and Culture , Bacons Rebellion, The William and Mary Quartely,Vol.9,No.1(Jul.1900), P. 4-5.
(93) Nathaniel Bacon, Proclamations of Nathaniel Bacon , The Virginia Magazine of History and Biography, Vol.1,No.19Jul.,1893),P. 56-58
(94) Ibid, P. 58.
(95) Ibid, P. 58.
(96) Ballard C. Campbell , Disasters , Accidents , and Crises in American History, A Reference Guide to the Nations Most Catastrophic events, New York 2008, P. 16.

(97) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, Op.Cit , P.23.
(98) Thomas J. Wertenbaker, Op. Cit,P.8
(٩٩) الان نفيز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق، ص ٢٩
(100) Ballard C. Campbell , Disasters , Accidents , and Crises in American History, A Reference Guide to the Nations Most Catastrophic events, New York 2008, P. 16.

(١٠١) نقلا عن الان نفيز وهنري ستيل كوماجر، المصدر السابق، ص ٢٩.
(102) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, Op.Cit , P.23
(103) Nathaniel Bacon, Proclamations of Nathaniel Bacon, Op.Ci ,P. 59-60.
(104) Quted in, Testimong Given by Mrs. William Bird , Neighbor of Bacons (early 1667), Bacons Rebellion(University) By , Roland Marchand, Colonial America, Revolution,Native Americans, Document, 11, http:// history project,ucdavis.edu.
(105) Frank E . Grizzard And Boyd Smith, Op.Cit , P.23
(106) Christopher Walderd , Michael Bllesiles ,Documenting American Violence : A Sourcebook , Oxford University Press 2006,P. 55.
(107) Virginia Historical Society, Virginia in 1676-77. Bacons Rebellion(continued), The Virginia Magazine of History and Biography , Vol.21,No.3(Jul.,1913)P.235-236..
(108) Virginia Historical Society, Bacons Rebellion, Op.Cit,P.167-169.
(109) Quoted in, Robin Blacburn, Op. Cit,P. 257.
(110) Samuel Wisemans, Book of Record, The Official Account of Bacons Rebllion in Virginia , 1676-1677, Edited, Michael Leroy Oberg, Oxford, UK 2005, Document 9,P. 45-46.
(111) Lynn Ed Ward Dawson, A Better Past A Family Saga, U.S.A 2001, P. 275.
(112) James S . Olson and Robert Shadle , Historical Dictionary of the British empire ,U.S.A 1996,P. 93-94.
(113) James A. Delle , Op. Cit, P. 228.
(114) Edmund S .Morgan, Op.Cit,P. 312.
(115) Ibid, P. 305.
(116) James A. Delle , Op. Cit,P .228.